النقب والنقابون ودورهم في عمليات الحصار
في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية
(١٠٩٧-١١٩٢م/٤٩٠-٥٨٨هـ) (*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

د/ محمود محمد محمد كامل عطيه
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب – جامعة أسيوط

الملخص العربى

تلقي هذه الدراسة الضوء على استراتيجية مهمة استخدمت في معظم عمليات الحصار عصر الحروب الصليبية، ألا وهى استراتيجية نقب الأسوار والنقابين القائمين عليها. وتعد هذه الاستراتيجية واحدة من الوسائل المستخدمة في هدم الأسوار في ذلك العصر، ولكنها لم تنل القسط الكافي من الدراسة مثلما نالت المنجنيقات وغيرها من آلات ووسائل الحصار.

وستعرض هذه الدراسة لتلك الاستراتيجية العسكرية من حيث التعريف بها، والمصطلحات المستخدمة في عمليات النقب، ثم تعرج إلى إيراد نبذة تاريخية عن استخدام استراتيجية النقب منذ العصور القديمة وصولاً إلى عصر الحروب الصليبية. ثم تنظر الدراسة إلى النقب والنقابون عند كلا الجانبين الإسلامي والصليبي، وما مدى أهمية هذه الاستراتيجية في عمليات الحصار، وما هى أنواع وأنماط النقب وأدواته، والحرفيون الآخرون المساعدون للنقابين. ثم تتطرق إلى دراسة أهم الخطط التى اتبعت في عمليات النقب، وما هى الوسائل التي استخدمت لمناهضة تلك العمليات، والمخاطر التي يتعرض لها النقابون. وتختتم بذكر أهم مميزات وعيوب استراتيجية نقب الأسوار. وذيلنا هذه الدراسة بقائمة لكافة عمليات النقب التي وقعت أثناء عمليات الحصار في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية وحتى عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ. وذلك كله مصحوباً بأمثلة ونماذج لأهم عمليات الحصار التي استخدمت فيها استراتيجية نقب الأسوار.

(*) مجلة "وقائع تاريخية" العدد (٣٥)، يوليو ٢٠٢١، الجزء الثانى.

ABSTRACT

This study shed light on an important strategy used in most of the siege operations during the time of the Crusades. Its is the strategy of mining the walls by the miners. This strategy is considered one of the major methods which used in breakthrough the walls at that time, but it did not receive a sufficient amount of study, just as it received catapults and the other tools of siege.

This study will present that military strategy in various elements and ideas, and the terms used in the mining operations, and provide a historical overview of the use of the this strategy from ancient times to the era of the Crusades. The study then looks at the use of mining strategy on both the Islamic and Crusader sides, and what is the importance of this strategy in the siege operations; what are the types and styles of the mining and its tools, and other craftsmen assisting the miners. Then it deals with the most important plans that were followed in the mining operations and what are the means used against the mining of the walls. It also present to the risks that the miners are exposed to. Eventually the study concludes by mentioning the most important advantages and disadvantages of mining strategy. We put an extension at the end of the study with a list of all the mining operations that occurred during the siege operations in the time of the Crusades until the year 1192 AD / 588 AH. All this is accompanied by examples of the most important siege operations in which the mining of the walls was used.

تسلط هذه الدراسة الضوء على استراتيجية مهمة استخدمت في معظم عمليات الحصار في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ألا وهى استراتيجية نقب الأسوار والنقابين القائمين عليها. وتعد هذه الاستراتيجية واحدة من الوسائل المستخدمة في هدم الأسوار في ذلك العصر، ولكنها لم تنل القسط الكافي من الدراسة مثلما نالت المنجنيقات وغيرها من آلات ووسائل الحصار الأخرى. وكانت هذه الاستراتيجية تتم بطريقتين، إما فوق الأرض عبر خندق يصل إلى أسفل جزء من السور، ثم يتم نقبه حجراً حجراً، وذلك كله تحت ستار من

الأخشاب لحماية النقابين. أو تتم تحت الأرض عبر نفق يصل إلى أسفل أساسات السور. وسوف تركز هذه الدراسة على هذا النوع الأخير من النقب، والذي يتم في معظم مراحله تحت سطح الأرض.

وستعرض الدراسة لتلك الاستراتيجية الحربية من حيث التعريف بها، والمصطلحات المستخدمة في عمليات النقب، ثم تعرج إلى إيراد نبذة تاريخية عن استخدام استراتيجية النقب منذ العصور القديمة وصولاً إلى عصر الحروب الصليبية. ثم تنظر الدراسة إلى النقب والنقابين عند كلا الجانبين الإسلامي والصليبي، وما مدى أهمية هذه الاستراتيجية في عمليات الحصار، وما هى أنواع وأنماط النقب وأدواته، والحرفيون الآخرون المساعدون للنقابين. ثم تتطرق إلى دراسة أهم الخطط التى اتبعت في عمليات النقب، وما هى الوسائل التي استخدمت لمناهضة تلك العمليات. ثم تتجه الدراسة إلى محاولة تقصي المخاطر التي يتعرض لها النقابون، وأخيراً تختتم بذكر أهم مميزات وعيوب استراتيجية نقب الأسوار. وذلك كله مصحوباً بأمثلة ونماذج لأهم عمليات الحصار التي استخدم فيها نقب الأسوار. وذيلنا هذه الدراسة بخريطة توضح كافة المعاقل الإسلامية والصليبية التي تعرضت للنقب في الفترة محل الدراسة. كما ألحقنا بها قائمة، مرتبة زمنياً، لكافة عمليات النقب التي وقعت أثناء عمليات الحصار في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية وحتى عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ.

وتكمن أهمية دراسة استراتيجية النقب في كونها أسقطت حصوناً وقلاعاً عظيمة ما كان لها أن تسقط لولا نقب أسوارها. وليس أدل على ذلك من سقوط مدينة الرها على يد النقابين المسلمين عام ١١٤٤م/٥٣٨هـ[١]. كذلك تتضح أهمية هذه الدراسة في أن النقب، مع غيره من أساليب الحصار، كان له دور في تشكيل الخريطة الطبوغرافية للقلاع والحصون التي أقامها الصليبيون على أرض بلاد الشام. فالخوف من نقص العنصر البشري لدى الصليبيين،

والذي يقابله زيادة عددية كبيرة من جانب خصومهم المسلمين، دفعهم إلى بناء العديد من الحصون والقلاع التي أقيمت، إما على تربة صخرية قاسية، أو أعلى هضبة صخرية[٢] لا يمكن نقبها من أسفل أساسات جدرانها. فقد كان الصليبيون يبحثون عن المناطق المرتفعة والتربة الصخرية الصلبة لإقامة حصونهم وقلاعهم عليها تفادياً لأية خطط نقب تستهدف تلك الحصون والقلاع. فاختيار مكان تأسيس المعاقل الصليبية كان له ارتباط واضح بعمليات نقب الأسوار، وعلى هذا كان للنقب دور فاعل في تشكيل الخريطة الطبوغرافية للقلاع والحصون الصليبية في الشرق. من ناحية أخرى، حرص بعض المؤرخين على تسمية استراتيجية النقب بإسم "فن النقب"[٣] وذلك إدراكاً منهم بأهميتها في معظم عمليات الحصار. ومن ثم، فإن هذه الاستراتيجية، والنقابين القائمين عليها، في عصر الحروب الصليبية، أمر جدير بدراسة مستقلة متأنية.

أضف إلى ذلك أن إعتراف المؤرخين الغربيين المحدثين أنفسهم بتفوق الجانب الإسلامي في استخدام النقب [٤] لحري بأن تدرس هذه الاستراتيجية باللغة العربية وعلى يد باحثين عرب، وهذا دافع آخر للإقدام على دراسة تلك الاستراتيجية التي تكاد تكون تفاصيلها وخططها غير واضحة المعالم للكثير من دارسي تاريخ العصور الوسطى.

وعلى مستوى الباحثين الغربيين لا توجد دراسة مستقلة تناولت النقب والنقابين في عصر الحروب الصليبية، وإنما جاء حديثهم عن هذه الاستراتيجية في سياق الكتب العامة التي تناولت التاريخ العسكري للحروب الصليبية[٥]، أو في سياق أبحاث محددة تناولت بعض المصطلحات في الجيوش عصر الحروب الصليبية[٦]، أو في سياق الكتب التي تعرضت لدراسة القلاع الصليبية في بلاد الشام[٧]. وعلى مستوى الدراسات العربية لتاريخ الحروب الصليبية، لم يتم تناول هذا الموضوع في دراسة مستقلة، ولكن جاء ذكر النقابين ودورهم في الجيوش من خلال المعاجم العامة والمعاجم العسكرية المتخصصة[٨].

ولا ريب أن هذه الدراسة قد انطوت على بعض الصعوبات التي تكمن في محاولة تقصي استراتيجية النقب، والتنقيب عن دور النقابين في كافة عمليات الحصار التي تمت منذ تحرك الصليبيين من أوربا عام ١٠٩٦م/٤٨٩هـ، وحتى عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ، على كلا الجانبين الإسلامي والصليبي. ويصاحب ذلك أيضاً محاولة تحليل وفهم الخطط المختلفة التي اتبعت في تطبيق هذه الاستراتيجية في عمليات الحصار، وكذلك الأدوات المستخدمة فيها، ومدى تفوق الجانب الإسلامي أو الصليبي في استخدام النقب لهدم الأسوار، مع الوضع في الاعتبار ضرورة تفهم تصميم وبناء الحصن أو القلعة المستهدفة بالنقب، وكيف حرص المصممون والبناؤون على تفادي أعمال نقب الأسوار، وأية محاولات تهدف إلى اقتحام المكان، سواء عن طريق النقب أو أية وسيلة أخرى من وسائل الحصار عصر الحروب الصليبية.

والنقب في اللغة يعني الخرق أو الثقب في أي شئ، ويقال "نقب الجدار" أي خرقه. وتجمع كلمة النقب على "نقوب" أو "نقب"(٩) . ونقب الأسوار في أبسط صوره يتم عن طريق حفر نفق تحت سطح الأرض يصل إلى أسفل أساسات الأسوار، ثم تقطع الأحجار أو يتم خلعها، إما من الأساس أو من السور نفسه، وإبدالها بألواح قوية من الخشب. ويستمر ذلك العمل حتى يصبح معظم عرض السور أو كله محمولاً على الأخشاب بدلاً من الأساسات. ثم توضع مواد قابلة للاشتعال وكذلك مواد تساعد على الاشتعال بين هذه الأخشاب الحاملة للسور. ثم تضرم النار في هذه المواد القابلة للاشتعال، ويخرج النقابون من النفق، وينتظروا حتى تلتهم النار ألواح الأخشاب الحاملة للسور، فينهار الجزء المحمول فوق الأخشاب محدثاً فتحة في السور تمكن الجيش المهاجم من الاقتحام(١٠). وهذه عملية تنطوي على مخاطرة كبيرة من جانب النقابين، ولكنها استراتيجية معروفة بالنسبة للمعاصرين لها، وكان يتم تطبيقها في معظم عمليات الحصار في العصور الوسطى، وفي عصر

الحروب الصليبية، خاصة إذا كانت الظروف مواتية لتطبيقها.

وبناءً عليه، قد ترد في هذه الدراسة بعض المصطلحات المستخدمة في عملية النقب، يجدر الإشارة إليها وتوضيحها قبل الخوض في تفاصيل الدراسة. ومن أهم المصطلحات مصطلح "البدنة" وتعني المنطقة الواصلة بين أي برجين في السور. وتقل قيمة البدنات ودورها حينما تتمتع القلعة بحماية طبيعية خارج الأسوار، كالوديان العميقة أو الأنهار التي قد تحيط بالقلعة، في حين تزداد قيمتها مع عدم وجود مثل تلك الحماية الطبيعية(١١). وهناك مصطلح آخر شائع في عمليات النقب هو "التعليق" ويعني خلع الأحجار من السور أو من أساساته وإحلال أخشاب قوية محلها، فيصبح السور أو الأساس محمولاً فوق هذه الأخشاب أو معلقاً عليها، وكانت الأخشاب التي تستعمل لذلك تسمى "أخشاب التعليق"(١٢). كذلك مصطلح "الحشوة" وهى تعني مجموعة المواد القابلة للإشتعال، والتي توضع بين أخشاب التعليق. وهى في العادة تكون مواد سريعة الإشتعال، وتبقى مشتعلة لفترة طويلة، ومنها الشحوم الحيوانية والأغصان الجافة(١٣). هناك أيضاً مصطلح "الفرن Furnace" وهو الإسم الذي كان يطلق في العصور القديمة على عملية نقب الأسوار أسفل سطح الأرض، وذلك لأن إشتعال النيران في الدعائم الخشبية الحاملة للأسوار يحدث دخاناً ولهباً أشبه ما يكون بالأفران التي كانت تستعمل في العصور القديمة(١٤). وهذه المصطلحات، في مجملها، قد ذكرت في المصادر العربية التي تناولت عصر الحروب الصليبية.

وقبل الخوض في معرفة أهمية النقب وأنواعه وخططه المختلفة المتبعة عصر الحروب الصليبية، يجدر بنا تتبع التطور التاريخي لإستراتيجية النقب وصولاً إلى عصر الحروب الصليبية. فعملية نقب الأسوار قديمة في التاريخ، ومن المحتمل أن يكون الإنسان قد أخذها عن حيوان الخلد الذي من طبيعته أن يحفر في باطن الأرض بحثاً عن طعامه من الديدان، محدثاً بذلك شبكة من

الأنفاق تحت الأرض[١٥]. وأول استخدام معروف لاستراتيجية النقب كان عام ٥١٢ ق.م على يد الفرس عندما حاصروا مدينة برقة في شمال أفريقيا. ولكن أهل برقة اكتشفوا أمر النقب وقضوا على النقابين[١٦]. وفي عام ٧٠م استخدم الرومان وسيلة نقب الأسوار عند حصارهم لمدينة أورشليم (القدس)، وذلك بعد أن وجدوا مقاومة قوية من اليهود داخل المدينة. وقد استطاعوا بهذه الوسيلة إسقاط أجزاء من السور وأحد أبراجه[١٧]. وإبان القرن الرابع الميلادي قدم المؤرخ الروماني فيجيتوس Vegetius وصفاً تفصيلياً لعملية نقب الأسوار، وذلك في مؤلفه العسكري الرائع الذي بعنوان "خلاصة العلوم العسكرية Epitome of Military Science"[١٨]. وقد كان لهذا الكتاب تأثيره الواضح في الفكر العسكري حتى القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري[١٩]. أما في العصور الوسطى، فقد استخدم النقب في غرب أوربا، ومن أشهر الأمثلة على ذلك نقب وليم النورماني William of Norman[٢٠] لسور مدينة أكستر Exeter[٢١] عام ١٠٦٧م/٤٥٩هـ[٢٢].

غير أن استخدام استراتيجية النقب كان على نطاق ضيق قبل القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري، على الرغم من أنه كان معروفاً في الشرق والغرب في ذلك الوقت[٢٣]. أما في عصر الحروب الصليبية، ونخص بالذكر طوال القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري، فقد بات النقب استراتيجية شائعة ومستخدمة في أغلب عمليات الحصار التي وقعت بين الجانبين الإسلامي والصليبي[٢٤]. وقد إزداد استخدام هذه الإستراتيجية بشكل كبير بعد معركة حطين عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ، حيث لعب النقب دوراً مهماً في معظم عمليات الحصار التي قام بها صلاح الدين ضد الحصون والمعاقل الصليبية التي أصبحت بلا مدافع عنها بعد إنهيار الجيش الصليبي في حطين. وهذا الدور المهم الذي لعبته استراتيجية النقب بعد حطين يتفوق على الدور الذي لعبته في كافة عمليات الحصار التي وقعت منذ قدوم الصليبيين إلى بلاد

الشام وحتى معركة حطين(٢٥).

والجدير بالذكر أن المسلمين أثبتوا تفوقاً واضحاً على خصومهم الصليبيين في استخدام استراتيجية النقب، وذلك بشهادة المؤرخين الغربيين أنفسهم(٢٦). فقد كان المسلمون يفضلون نقب الأسوار من أساساتها بدلاً من تحطيمها بوسائل الحصار الأخرى(٢٧). ودعّم صحة هذه الحقيقة روايات المؤرخين القدماء من أمثال ابن القلانسي الذي أشار إلى أن "الخرسانيين والحلبيين" هم العارفين بأعمال النقوب وخططها(٢٨). كما أن بطريرك الأرمن، الأنبا نيرسيس شنورهالي Nerses Snorhali (١١٠٢-١١٧٣م/٤٩٥-٥٦٨هـ) (٢٩)، أشاد بتفوق النقابين المسلمين في نقب أسوار الرها عام ١١٤٤م/٥٣٨هـ، واعتبر هذا البطريرك أن استراتيجية النقب عادة يستخدمها المسلمون بشكل مستمر في عمليات الحصار(٣٠). وفي عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ استعان الملك الإنجليزي ريتشارد الأول قلب الأسد Richard I the Lionheart (١١٨٩-١١٩٩م/٥٨٥-٥٩٥هـ) بنقابين من حلب أثناء حصاره لقلعة الداروم(٣١). ويعد هذا السلوك اعتراف من الجانب الصليبي بتفوق المسلمين في استخدام استراتيجية النقب. وهذا لا يعني أن جيش ريتشارد لم يكن به نقابين، ولكن من المحتمل أنه استعان بالنقابين الحلبيين لسببين: أولهما، أنه سمع عن مهارتهم في عمليات نقب الأسوار، وثانيهما، لمعرفة الحلبيين بطبيعة التربة في بلاد الشام. وأياً كان الأمر، فإن النقابين المسلمين، وعلى الرغم من تفوقهم على خصومهم من الصليبيين، إلا أن هذا السلوك يؤكد أن منهم من تعاون مع الصليبيين مقابل المال. وهذا يدلل على أن النقابين لم يكونوا كلهم سواء، فمنهم من لم يكن مخلصاً بشكل كامل في جهاده للصليبيين.

من ناحية أخرى، يلاحظ أن معرفة الكثير من المؤرخين المسلمين بإستراتيجية النقب ومصطلحاتها وخططها كانت واضحة وملموسة في عصر الحروب الصليبية(٣٢). أما المؤرخون الصليبيون، في معظمهم، فكانت معرفتهم

بالنقب وخططه ساذجة ومحدودة إلى حد بعيد. فهذا بطرس توديبود Peter Tudebode قد شرح نقب الصليبيين لسور نيقية عام ١٠٩٧م/٤٩٠هـ في سذاجة تامة. فقد ذكر أنهم نقبوا السور بتثبيت أعمدة من الخشب وجذوع الأشجار، وأشعلوا فيها النار، ولم يزد عن ذلك في التفاصيل[٣٣]. بل حتى المؤرخ المجهول، والذي يعتقد أنه فارس نورماني في جيش القائد الصليبي بوهيموند النورماني Bohemond of Norman، أظهر جهلاً بإستراتيجية النقب. فعند روايته لنقب الصليبيين لسور نيقية، ذكر نقب السور دون معرفة بالتفاصيل، فلم يزد على أنهم جمعوا أخشاباً وكدسوها تحت أساسات السور، بعد حفرهم تحت هذه الأساسات، ثم أشعلوا النار في الأخشاب المكدسة[٣٤]. فمن المعروف في عملية النقب أن الأخشاب توضع بانتظام بحيث تتعلق الأسوار بكامل ثقلها فوق هذه الأخشاب، ولا تكدس تكديساً كما ذكر المجهول. كذلك أظهر فوشيه الشارتري Fulcher of Chartres ووليم الصوري William of Tyre أيضاً معرفة محدودة بعمليات النقب في بعض عمليات الحصار التي أرخوا لها[٣٥].

وبناءً عليه، فالمؤرخون المسلمون المعاصرون للأحداث تفوقوا على نظرائهم الصليبيين في معرفتهم بتفاصيل وخطط وأهداف عمليات نقب الأسوار، وهذا أمر طبيعي لتفوق المحاربين المسلمين أنفسهم في هذا الجانب، ولكون المسلمون، بصفة عامة، أصحاب الأرض، ومن ثم فهم أحق بها، ويسعون لإستردادها بكل الوسائل، بما فيها وسيلة نقب الأسوار.

ولا يعرف على وجه التحديد مصدر معرفة الشوام بإستراتيجية النقب، ويحتمل المؤرخ هيو كنيدي Huge Kennedy أن تكون هذه الاإستراتيجية قد وصلت إلى بلاد الشام من خراسان، الواقعة شمالي إيران الحالية، وذلك عن طريق سلاجقة الشام الذين جلبوا معهم نقابي خرسان إلى بلاد الشام[٣٦]، ودليل كنيدي على ذلك رواية أسامة بن منقذ عن حصار المسلمين لكفر طاب[٣٧] عام

عام ١١١٥م/٥٠٩هـ، حيث ذكر النقابين بإسم "الخرسانية" مرتين في روايته[٣٨]. وبناءً عليه افترض كنيدي أن إستراتيجية النقب في بلاد الشام مصدرها خرسان. ولكن في ذات الوقت أشار ابن القلانسي إلى تفوق الحلبيين أيضاً في استخدام استراتيجية النقب[٣٩]. وهكذا، لا يوجد دليل آخر على الأصل الخرساني لإستراتيجية النقب في بلاد الشام سوى رواية أسامة بن منقذ، وهى غير كافية لإثبات ذلك، خاصة مع إشارة ابن القلانسي إلى تفوق الحلبيين في هذه الناحية. وبناءً عليه تظل أصول استراتيجية نقب الأسوار في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية أمراً غير معروف.

وأرجع أحد الباحثين الغربيين تفوق المسلمين على نظرائهم الصليبيين في نقب الأسوار إلى وجود الصليبيين أنفسهم وتحصيناتهم الضخمة في الشرق عصر الحروب الصليبية[٤٠]. وهذه المعلومة يشوبها الخطأ، فأسامة بن منقذ، وكما سبق القول، قد أشار إلى تفوق النقابين الخرسانيين في عمليات النقب، وذلك في روايته عن حصار المسلمين لكفر طاب عام ١١١٥م/٥٠٩هـ[٤١]. وحيث أنه في هذا التاريخ لم يكن قد مر على وجود الصليبيين في الشرق سوى خمسة عشر عاماً، مع الوضع في الإعتبار أن بناء القلاع الصليبية الضخمة قد بدأ مع توسعات الصليبيين في بلاد الشام في الربع الأول من القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجرى. وهذه الفترة الزمنية القصيرة، من استقرار الصليبيين في الشرق وحتى حصار المسلمين لكفر طاب، لا تكفي للحكم على اكتساب المسلمين لمهارات النقب من الصليبيين وحصونهم الضخمة، حيث أن غالبية هذه الحصون قد بنيت بعد هذا التاريخ. من ناحية، وكما سبقت الإشارة، أن ابن القلانسي نوه إلى تفوق الحلبيين في نقب الأسوار في روايته عن إسترداد المسلمين للرها عام ١١٤٤م/٥٣٨هـ[٤٢]. وإجتهاد الصليبيين في بناء القلاع من وقت التوسعات التي قام بها الملك الصليبي بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠-١١١٨م/٤٩٣-٥١٢هـ) وحتى عام

١١٤٤م/٥٣٨هـ[٤٣]، أي نحو ثلاثين عاماً، وهى فترة لا تكفي لربط تفوق المسلمين في استخدام النقب بوجود الصليبيين وحصونهم الكبيرة في الشرق. وإذا افترضنا صحة رأي الباحث الغربي، فلماذا تفوق الحلبيون دون غيرهم من مسلمي الشام في مجال النقب، مع العلم أن القلاع الصليبية كانت موزعة في مناطق متفرقة من بلاد الشام، وليس بالقرب من حلب وحدها.

وهكذا يمكن القول بأن الربط بين تفوق المسلمين في استخدام استراتيجية نقب الأسوار وبين وجود الصليبيين وحصونهم الضخمة في بلاد الشام أمر ليس له دليل قوي يدعمه. فالذي لا شك فيه أن المسلمين كانوا عارفين بهذه الإستراتيجية حتى قبل قدوم الصليبيين إلى الشرق، وما فعله الصليبيون وحصونهم كان بمثابة مجالاً خصباً لتطبيق هذه الإستراتيجية على أرض الواقع.

وعلى ما يبدو أن المسلمين كانوا أكثر إهتماماً بفئة النقابين في الجيوش من إهتمام الصليبيين بهم. ففي رواية أسامة بن منقذ السالفة الذكر عن حصار المسلمين لكفر طاب، أشار إلى أن حبه للمعرفة دفعه إلى نزول نفق النقابين أثناء هذا الحصار، وعندما نزل تعجب لما رأى من عمل النقابين، ثم اختتم روايته قائلاً:

> "فرأيته (أي النقب) وخرجت، ولم يعرفني الخرسانية (أي النقابون الخرسانيون)، ولو عرفوني ما تركوني أخرج إلا بغرامة كثيرة لهم"[٤٤].

ونستنتج من ذلك أن النقابين في الجيش الإسلامي كانوا على قدر من المنزلة والمكانة ما يمكنهم من إيقاف أمير عربي في مكانة أسامة وتغريمه بالمال لإطلاعه على أسرار عملهم وخبراتهم التي، على ما يبدو، كانوا حريصين على عدم إطلاع أحد عليها. وهذا دليل على مكانتهم في الجيش في الجانب الإسلامي. وفي عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ أمر صلاح الدين بتخريب سور مدينة

عسقلان[٤٥] حتى لا تستفيد منه جيوش الصليبيين في الحملة الصليبية الثالثة، فأمر بإرسال مائة نقاب لهذا الغرض[٤٦]، وهذا عدد كبير في الجيش الإسلامي. وما دام صلاح الدين قد أرسل مائة نقاب لهذه المهمة، فلابد وأن يكون قد استبقى معه مثل هذا العدد أو يزيد من النقابين. وهذا يدلل على كثرتهم في جيش صلاح الدين. كذلك إذا ما قارنا بين عدد المرات التي استخدمت فيها استراتيجية النقب على الجانبين الإسلامي والصليبي طوال القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري، إتضح لنا أن عدد المرات التي استخدمت فيها من الجانب الإسلامي أضعاف عدد المرات التي استخدمت فيها من جانب الصليبيين[٤٧]. وهذا دليل على اهتمام الجيش الإسلامي بعنصر النقابين من بين طوائفه.

أما على الجانب الصليبي، فيبدو أنهم لم يكونوا على نفس القدر من الاهتمام بالنقابين. والدليل على ذلك أن الملك الإنجليزي ريتشار قلب الأسد قد استعان بنقابين من حلب أثناء حصاره لقلعة الداروم عام ١١٩١م/٥٨٧هـ[٤٨]. فلولا قلة النقابين في جيش ريتشارد لما استعان بنقابين من حلب. وقلة عددهم في جيش الملك الإنجليزي بالطبع يعكس عدم إهتمام الصليبيين بهذه الفئة من المحاربين. وهكذا يمكن الإقرار بإهتمام الجانب الإسلامي بالنقابين في عمليات الحصار المختلفة أكثر من إهتمام الجانب الصليبي بهم، والذي كان يفضل وسائل الحصار الأخرى البديلة لنقب الأسوار.

أما عن أهمية النقب عصر الحروب الصليبية، فمما لا شك فيه أن للنقب أهمية كبيرة في عمليات الحصار التي وقعت عصر الحروب الصليبية. وصرح أحد المؤرخين المحدثين بأن كل عملية حصار في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين/السادس والسابع الهجريين، عصر الحروب الصليبية، كان يتم فيها عمليات نقب للأسوار. وليس أدل على أهمية نقب الأسوار من أنها كانت توضع في الحسبان عند تأسيس الحصون والقلاع من جانب

الصليبيين، بشكل خاص. فكانوا يسعون سعياً دؤوباً إلى تأسيس القلاع الجديدة فوق هضبة صخرية يصعب نقبها(٤٩). أما إذا كانت القلعة مشيدة فوق أرض سهلية، أو فوق تربة جيرية (طباشيرية) عندها يسهل استخدام استراتيجية النقب ضدها. فعند حصار بلك بن بهرام(٥٠) لقلعة خرتبرت التابعة للصليبيين في سبتمبر ١١٢٣م/رجب ٥١٧ هـ، وتمكنه من نقب أساساتها(٥١)، علق وليم الصوري William of Tyre على ذلك بأن هذه القلعة يسهل نقب أساساتها لأنها "مشيدة على تل ذي طبيعة جيرية قديمة، جعلت إختراقها أمراً سهلاً"(٥٢). ومن ثم كان لإستراتيجية النقب أهمية واضحة في صياغة الخريطة الجغرافية للقلاع الصليبية في بلاد الشام، مما يؤكد أهمية هذه الإستراتيجية.

كذلك أدرك المسلمون أهمية إستراتيجية النقب في مواجهة الجانب الصليبي عندما علموا أن قوة الصليبيين في تكمن في أداتين اثنتين، هما: جيش الميدان، والمعاقل المحصنة(٥٣). حيث أن الصليبيين، ومنذ وطأت أقدامهم بلاد الشام، سعوا إلى الإستيلاء على القلاع القائمة أينما وجدت، وكذلك تشييد قلاع جديدة في المناطق التي أصبحت تحت أيديهم، أو تلك التي تحتاج إلى قوة تأمين وحماية(٥٤). وبناءً عليه كان على الجانب الإسلامي استخدام إستراتيجية النقب بكامل أدواتها وخططها لمناهضة الإستيطان الصليبي بحصونه وقلاعه.

اتضحت أهمية النقب أيضاً في عصر تفوقت فيه التحصينات على أسلحة القذف أو الرمي. فالحصار بطبيعته عملية صعبة في ظل تفوق هذه التحصينات. فإذا طال وقت الحصار بسبب قوة التحصين، بات الجيش المهاجم في موقف حرج، خاصة إذا ما علموا بإقتراب وصول قوة خارجية داعمة للحامية المحاصرة(٥٥). فكان لابد من تنفيذ إستراتيجية نقب الأسوار في سرعة ومهارة تحقق النجاح للجيش المهاجم، وإلا فسوف تحل كارثة كبيرة.

أيضاً برزت أهمية النقب في الصراع الإسلامي الصليبي من إهتمام القادة أنفسهم بها على الجانبين الإسلامي والصليبي. فعلى الجانب الإسلامي،

وأثناء حصار المسلمين للرها عام ١١٤٤م/٥٣٨هـ، أشرف عماد الدين زنكي[٥٦] بنفسه على النقوب ومداخلها ودعائمها الخشبية. وقد حرص النقابون من جانبهم على إعلام زنكي بخططهم ودورهم تحت الأسوار. فدخل زنكي في النفق مع النقابين، ورأى وشاهد عملهم الكبير. وعندها أصدر أوامره لهم بإشعال النيران في حشوة النقب. وبعد فترة من إشعال النيران إنهار الجزء المنقوب من السور بشكل مروع، وتمكن زنكي من إقتحام الرها[٥٧]. يتضح من ذلك حرص عماد الدين زنكي بنفسه على عمل النقابين، بل ويفتخر هذا القائد المسلم بنتيجة عمل النقابين قائلاً:

"قضيت على مدينتهم المنيعة (يقصد الرها)،وعرَّضت أسسها لأشعة الشمس"[٥٨].

من ناحية أخرى، وفي عام ١١٩١م/٥٨٧هـ، عند حصار الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد لعكا، أشرف بنفسه على عمل النقابين، وقرر منحهم حوافز من الأموال لمن يخلع حجراً من السور، وصلت تلك الحوافز إلى أربع قطع ذهبية[٥٩]. وبناءً على ما سبق، تتضح أهمية أستراتيجية النقب وإهتمام القادة بها على الجانبين، الإسلامي والصليبي.

كما أن المؤرخين المحدثين أنفسهم أبدوا إهتماماً بالنقب أكثر من أساتذتهم السابقين. فالباحثة الفرنسية تامي آلان Tami Alan أفردت عنواناً مستقلاً لشرح استراتيجية النقب في نحو ثلاث صفحات في أطروحتها للدكتوراه[٦٠]، وناقشت فيها نقب الأسوار تحت سطح الأرض بشكل جيد. وهذا المؤرخ الإنجليزي هيوج كينيدي Hugh Kennedy يخصص ما يقرب من ثلاث صفحات[٦١] لشرح نقب الأسوار، وضرب أمثلة على ذلك من تاريخ الحروب الصليبية، وذلك في كتابه المعنون بـ "القلاع الصليبية". في حين أن المؤرخ سميل Smail في كتابه المعنون بـ "فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر"، والذي نشره في الستينيات من القرن العشرين[٦٢]، لم يفرد عنواناً

مستقلاً واحداً لشرح استراتيجية النقب، على الرغم من تخصص كتابه في الحديث عن التاريخ العسكري للحروب الصليبية. وهذا من شأنه أن يوضح مدي إهتمام وإدراك المؤرخين المعاصرين باستراتيجية النقب أكثر من المؤرخين السابقين لهم بها.

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين الغربيين مثل كريستوفر جرافيت Christopher Gravett(٦٣) وريتشارد هالم Richard Hulme(٦٤) يقلل من أهمية إستراتيجية النقب، إلا أن هناك من المؤرخين الغربيين المحدثين من يعترف بالدور الأساسي للنقب في سقوط حصون كبيرة مثل حصن كوكب الهوى(٦٥)، فالنقب كان سبباً أساسياً في سقوط هذا الحصن على يد صلاح الدين عام ١١٨٩م/٥٨٥هـ(٦٦). كما أن المؤرخين اللاتين المعاصرين للأحداث أنفسهم يعترفون بأهمية إستراتيجية النقب. فهذا فوشيه الشارتري Fulcher of Chartre يعترف بأن الملك الصليبي بلدوين الثاني Baldwin II (١١١٨-١١٣١م/٥١٢-٥٢٥هـ)(٦٧) قد أصيب بفزع شديد جراء سقوط سور قلعة خرتبرت(٦٨) بعد نقبه على يد بلك بن بهرام في سبتمبر ١١٢٣م/رجب ٥١٧هـ، حيث أن هذا الإنهيار للسور أحدث دوياً هائلاً مما أدى إلى فزع الملك الصليبي(٦٩). كما علق المؤرخ الصليبي وليم الصوري على إنهيار هذا السور بقوله:

> "فلما أتى الحريق على الأعمدة (أي أخشاب التعليق)، إنخسف التل، وسقط أحد الأبراج التي عليه سقوطاً صحبته رجة هائلة حملت الملك على الإستسلام في الحال لبلك من غير قيد أو شرط. لأنه خاف أن تنهار القلعة بأكملها بنفس الصورة"(٧٠).

وعلى ذلك، وفي فترة مبكرة من وجود الصليبيين في الشرق، صرح هذان المؤرخان الصليبيان الكبيران بهذا التصريح الذي أظهر مدى ذهول الملك

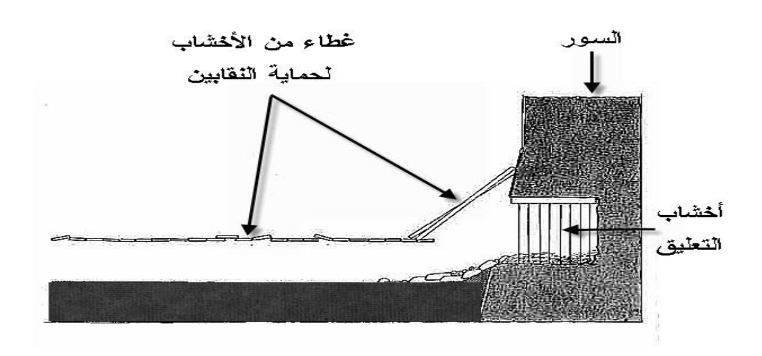
الصليبي وفزعه من دوي إنهيار سور البرج المنقوب. وتصريحهم هذا لا يدع مجالاً للمؤرخين المحدثين في التقليل من شأن إستراتيجية نقب الأسوار، خاصة مع ضخامة هذه العملية التي وقعت على يد بلك بن بهرام في وقت مبكر من وجود الصليبيين في بلاد الشام.

غير أن النقب وحده ليس كافياً لإتمام عملية الحصار وإقتحام المكان المحاصر، فكان لابد من هجوم للجيش بكامل قوته للإقتحام عقب إنهيار الجدران[٧١]. وحتي أثناء الحصار كان لابد من تعاون الأسلحة وآلات الحصار الأخرى، وذلك بهدف إضعاف السور من أعلاه، وحتى يتم إنهيار السور بشكل سريع. وذلك كله مع الوضع في الإعتبار ظروف وأحوال المكان المحاصر، وطريقة بنائه، وتصميمه، وطبيعة التربة القائم عليها المكان المستهدف بالنقب.

ولم يكن النقب على الدوام بهدف إقتحام سور حصن أو قلعة، بل أحياناً تكون له أهداف أخرى. ففي عام ١١١٢م/٥٠٥هـ، وبينما كان الصليبيون يحاصرون مدينة صور، قاموا بنصب أبراج خشبية ضخمة متحركة نحو أسوار المدينة. فقام أهل صور من داخل بلدتهم بنقب أساسات أحد حوائط برج من أبراج مدينتهم والذي كان في مواجهة برج خشبي متحرك تابع للصليبيين من الخارج. وكان الغرض من ذلك أن يسقط هذا الحائط أمام البرج الخشبي المتحرك فيعيق حركته نحو سور المدينة. وقد نجحوا في ذلك إلى حد بعيد، وسقط الحائط أمام برج الصليبيين، ومنعه من التقدم نحو السور[٧٢]. وهكذا لم يكن النقب على الدوام بهدف إقتحام حصن أو قلعة، بل قد يكون بهدف حماية هذا الحصن أو تلك القلعة من المهاجمين.

والنقب نوعان، نوع يسمى "النقب الظاهر"[٧٣]، وهو يهدف إلى نقب الأسوار فوق سطح الأرض مباشرة أو عبر خندق يصل إلى الجزء الأسفل من السور. وعندما يصل النقابون إلى السور يقطعون منه الأحجار ويحلون محلها أخشاب التعليق والحشوة بداخلها. ويتم إشعال النيران في الحشوة، فتأكل هذه

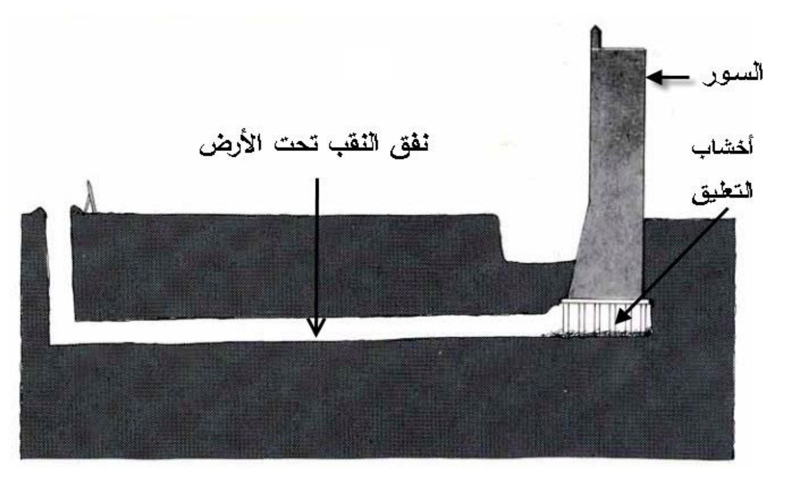
النيران أخشاب التعليق، فتنهار هذه الأخشاب وينهار بالتالي السور المحمول فوقها، تاركاً فراغاً أو ثغرة في السور يتم إقتحام المهاجمين من خلالها[٧٤]. ومن عيوب هذا النوع من النقب البطء الواضح والمشقة والصعوبة، مع الخسائر الكبيرة في أرواح النقابين المعرضين لمقذوفات الحامية من الداخل بشكل مباشر ومستمر. ولهذا كان القائد المحنك يفضل دائماً تجويع الحامية بإطالة فترة الحصار، ولا يغامر بنقب الأسوار بهذه الطريقة الظاهرة من النقب[٧٥].



شكل رقم (١) – النقب الظاهر

أما النوع الثاني فيدعى "النقب الباطن"، وفيه يتم حفر نفق تحت سطح الأرض يسير في إتجاه أساسات السور، حتى يصل إلى أسفل هذه الأساسات. ولابد أن يبدأ حفر هذا النفق من نقطة أو موضع بعيد عن السور ومختفٍ عن أنظار أفراد الحامية المدافعة. وفي بعض الحالات يسير النفق تحت الأرض في تعرج وليس في خط مستقيم، وذلك بهدف تمويه الحامية ومنعها من التعرف على مسار نفق النقابين. وطوال عملية الحفر في النفق، وصولاً إلى تحت الأساسات، يستمر العمال المساعدون للنقابين في إخراج كميات الطمي الناجمة عن عملية الحفر إلى الخارج حتى لا تتسبب في سد النفق أو تضييقه مما يعوق عمل النقابين[٧٦]. وعند الوصول إلى أسفل الأساسات، يمارس النقابون طريقتين من النقب:

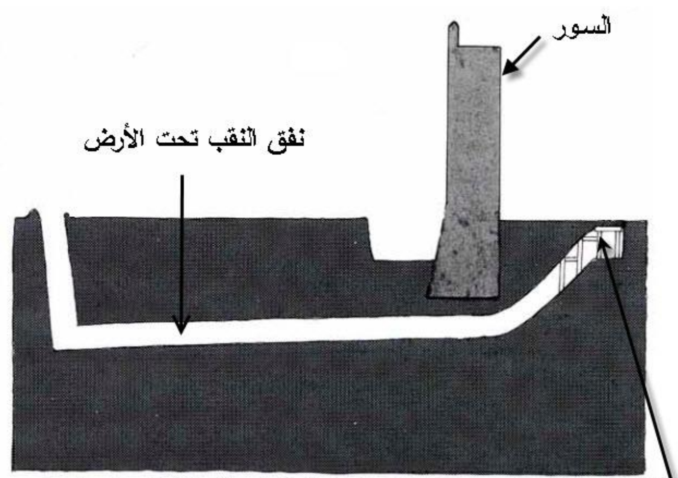
أولهما: أن يتم الحفر تحت أساسات الجدران مباشرة بحيث تتكون فجوة كبيرة تحت هذه الأساسات تكون بنفس عرض الأساسات أو أقل منه قليلاً. أما طول الفجوة فكان يحدد تبعاً لظروف المكان المحاصر وتخطيط بنائه، وحسب ما يرتأي النقابون أنفسهم(٧٧). وفي أثناء خلع الأحجار لتكوين الفجوة السالفة الذكر يتم إحلال أخشاب التعليق محل الأحجار حتى تصبح الأخشاب وحدها هى الحاملة للجزء المعلق من السور. ثم توضع المواد القابلة للإشتعال (الحشوة) وسط أخشاب التعليق وتضرم فيها النيران، فتشتعل، ثم ينتظر النقابون فترة من الوقت حتى تأتي النار على أخشاب التعليق، فلا يجد السور دعامات يستند عليها، فينهار محدثاً فتحة أو فجوة في السور تسمح للمهاجمين بالإقتحام(٧٨). وهذه الطريقة هى الشائعة في الاستخدام عصر الحروب الصليبية.



شكل رقم (٢) – النوع الأول من النقب الباطن

ثانيهما: يتم فيها عمل نفق تحت الأرض يمر أسفل الأساسات ويتعداها إلى داخل المكان المحاصر، محدثاً فتحة في سطح الأرض يخرج منها الجيش المهاجم، ويصبح في داخل أرض القلعة المحاصرة(٧٩). وأحياناً لا يفتحون هذه الفتحة مباشرة، بل يتم تعليق سطح التربة بالأخشاب والحشوة، وتضرم فيها النيران، فينهار سطح التربة محدثاً فجوة في داخل أرض القلعة يمكن أن يقتحم

الجيش المهاجم من خلالها. وفي كثير من الأحيان يقوم النقابون بفتح هذه الفجوة ليلاً في غفلة من الحامية، ويتجهوا مباشرة ناحية بوابات القلعة لفتحها حتى يتمكن بقية الجيش من الإقتحام(٨٠). وهذه الطريقة لم يذكر استخدامها على الإطلاق في الفترة محل الدراسة.



شكل رقم (٣) – النوع الثاني من النقب الباطن

ويلاحظ أن كلا النوعين من النقب قد استعملا في عصر الحروب الصليبية. ولكن "النقب الباطن" كان الأكثر استعمالاً لأن به نوع من الأمان المطلوب للنقابين والعمال المساعدون لهم. أما النقابون في "النقب الظاهر" فكانوا أكثر عرضة لمقذوفات الحامية المختلفة من ماء مغلي، أو زيت مغلي، أو شعلات نار، أو أحجار، أو سهام ورماح، أو أية نوع من المقذوفات قد تلقى فوق رؤس النقابين العاملين في الخندق. وعلى هذا كان استخدام هذا النوع من النقب محدود في عصر الحروب الصليبية. وأحياناً قد يستخدم النوعين معاً في حصار واحد، فمن المرجح أن الصليبيين قد استخدموا النوعين معاً أثناء

حصارهم لنيقية في مايو عام ١٠٩٧م/جمادى الآخرة عام ٤٩٠هـ. فقد أشارت المؤرخة البيزنطية آنا كومنينا Anna Comnena إلى أن اللاتين (الصليبيين) قاموا بعمل آلة خشبية ضخمة غطوها بالجلود وكانت تحوي بداخلها نوعين من الجنود، الأول يضرب السور من أسفل نقطة فيه (نقب ظاهر)، أما الجنود الآخرون فكانوا ينقبون تحت الأرض (نقب باطن) حتى بلغوا أسفل أساسات أحد الأبراج، فعلقوه وحشوه، وأشعلوا فيه النيران، فانهار حائط البرج[٨١]. وبناءً عليه، يبدو أن النوعين من النقب قد استخدما في حصار الصليبيين لنيقية.

وتعددت أدوات النقب التي استعملها النقابون أثناء عملهم، وأهمها المعول، والمثقاب، والفأس، والزنبيل، والأخشاب، والشحوم الحيوانية، والنار، بالإضافة إلى النار الإغريقية[٨٢]. أما المعول والمثقاب والفأس فهى أدوات حديدية[٨٣] تستخدم في حفر الأنفاق وخلع الأحجار من الجدران وأساساتها. والمعول، على وجه التحديد، قد ذكر أثناء حصار صلاح الدين لحصن بيت الأحزان (كوكب الهوى) عام ١١٨٩م/٥٨٤هـ[٨٤]. أما الزنبيل فقد ذكر أثناء حصار المسلمين لكفر طاب[٨٥] عام ١١١٥م/٥٠٩هـ[٨٦]. فقد كان النقابون، أثناء هذا الحصار، حريصين على إخراج مخلفات الحفر أولاً بأول حتى لا تعوق عملهم، كما أن ذلك من شأنه ألا يعوق دخول الهواء إلى النفق، حتى يستطيع النقابون التنفس بسهولة داخل نفق النقب، وكان الزنبيل أحد أدوات النقابين لإخراج تلك المخلفات.

كما استخدم النقابون الأخشاب في خطط النقب من أجل تعليق الأسوار، ولكن لم تذكر المصادر أية معلومات عن نوعية الأخشاب المستعملة للتعليق. ولكن من المرجح أنهم كانوا بحاجة إلى نوعين من الأخشاب، أولهما: أخشاب قوية للتعليق. وثانيهما: أخشاب خفيفة وسهلة الإشتعال للحشوة. أما أخشاب النوع الأول ففي الأغلب كانت من أشجار الصنوبر والأرز، وذلك لمتانة أخشاب تلك الأشجار وسرعة إشتعالها في ذات الوقت. وهى أشجار

منتشرة على طول الساحل الشامي وشمالي سوريا[٨٧]. أما أخشاب النوع الثاني فقد تكون من أشجار الكروم التي تساعد على الإشتعال، وفي ذات الوقت تبقى مشتعلة لفترة أطول. ومن المحتمل أن صلاح الدين استعمل أخشاب أشجار الكروم في الحشوة أثناء حصاره لحصن بيت الأحزان عام ١١٧٩م/٥٧٥هـ ونقبه لسور هذا الحصن، حيث أمر بجمع كميات كبيرة من هذه الأخشاب[٨٨]. ويمكن القول أن وجود الأخشاب كان أمراً جوهرياً مع الجيش، أو أن يكون المكان المحاصر نفسه على مقربة من تواجد الغابات، موطن الأخشاب. فعند حصار صلاح الدين لحصن بيت الأحزان، السالف الذكر، وجد أن الجيش بحاجة إلى مزيد من الأخشاب، فأمر بزحف جزء من قواته إلى المناطق المجاورة والتي بها ضياع وغابات لجلب الأخشاب[٨٩]. كما أضاف ابن الأثير أن صلاح الدين قد أغار أيضاً على ضياع الفرنج لنفس الغرض وهو جمع الأخشاب اللازمة لحصار حصن بيت الأحزان، حيث تصنع منها المنجنيقات والأبراج اللازمة للحصار، بالإضافة إلى استخدامها في تعليق النقوب[٩٠].

وبالإضافة إلى الأخشاب، كان النقابون في عصر الحروب الصليبية حريصون على استخدام مواد تساعد على الاشتعال كالشحوم والدهون الحيوانية[٩١]، وأية مواد أخرى من شأنها أن تساعد على الإشتعال وإستمرارية النيران، وذلك لضمان نجاح عملية النقب وإنهيار الجزء المنقوب من السور. ومن المرجح أن يكون الصليبيون هم من استخدموا شحوم الحيوانات بشكل أكبر، حيث أنه لم تذكر المصادر استخدام المسلمين لها في الحشوة إبان القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري.

ومن أدوات النقابين أيضاً النار. فبعد تعليق الأخشاب تحت السور أو أساساته ووضع الحشوة يتم إشعال النار في هذه الحشوة[٩٢]. ويلاحظ أن إستمرار النيران في الحشوة وأخشاب التعليق قد يستغرق بعض الوقت، قد يصل إلى يومين في بعض الأحيان، حتى تلتهم النيران أخشاب التعليق وتشقق

أحجار السور وتكسرها بفعل الحرارة المرتفعة. وقد ذكر ابن الأثير أن صلاح الدين استغرق يومين مشعلاً النيران في أخشاب التعليق حتى يسقط سور حصن بيت الأحزان عام ١١٧٩م/٥٧٥هـ، ولكنه لم يسقط بسبب سمك السور وضخامته(٩٣). وعلى أية حال، فسرعة إنهيار السور المنقوب تتأثر بعوامل متعددة كعرض السور بالنسبة لعرض النقب نفسه، وكذلك نوعية أخشاب التعليق، ونوعية أحجار البناء، وطريقة التعليق نفسها، وتصميم البناء، وموقع تأسيسه، وكافة العوامل التي من شأنها أن تزيد من سرعة إنهيار السور أو تؤخرها.

وكان هناك فئات أخرى مساعدة للنقابين، مثل الحجارين، والنجارين، والحمالين وكافة أفراد الجيش يمكن أن تعمل مع النقابين. أما الحجارون فهم فئة من المشاة مسئولون عن التعامل مع المنجنيقات(٩٤) والعرادات(٩٥). أو بمعنى أدق هم المسئولون عن جلب الأحجار اللازمة لقذفها بالمنجنيقات. وقد يشتركون في العمل مع النقابين مثلما حدث عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ عندما أراد صلاح الدين تخريب سور عسقلان حتى لا تستفيد منه جيوش الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد أثناء الحملة الصليبية الثالثة. فسير إلى عسقلان لهذا الغرض مجموعة من الحجارين والنقابين(٩٦). أما النجارون فربما كانت مهمتهم هى التعامل مع أخشاب التعليق، لأن هذه الأخشاب لابد من تصليحها وتهذيبها بدقة من قبل حرفيين متخصصين كالنجارين حتى تناسب تعليق الأسوار. أما الحمالون فهم المكلفون بحمل مخلفات الحفر من النفق وإخراجها إلى الخارج بالزنبيل، حتى لا تسد النفق وتعوق عمل النقابين.

وقد تشترك طوائف أخرى في العمل مع النقابين تبعاً لمتطلبات ظروف الحصار. فلم يقتصر المساعدون للنقابين على الحرفيين فقط، وإنما اشتركت فئات أخرى في مساعدة النقابين. حتى النساء قد شاركن في مساعدة النقابين، وقد حدث هذا بالفعل عام ١٠٩٨م/٤٩٢هـ، أثناء حصار الصليبيين لعرقة(٩٧).

فقد ساهمت النساء، المصاحبات للجيش، وزوجات النبلاء، في حمل الأحجار التي قطعها النقابون وإخراجها خارج الأنفاق. وأشار المؤرخ اللاتيني جيوبرت النوجنتي Guibert of Nogent إلى أن هولاء النسوة كن يساعدن النقابين حتى في أيام عطلتهن[٩٨]. وهكذا يمكن القول بأن النقابين كانوا في حاجة إلى فئات وطوائف أخرى من الجيش لمساعدتهم في إتمام عملهم تحت الأرض.

وتجدر الإشارة إلى أن للنقابين دور فعال، ليس في أوقات الحرب فقط، وإنما في أوقات السلم أيضاً[٩٩]. فقد يتم استدعائهم في أي وقت لأعمال مدنية بعيداً عن ميادين المعارك ومواقع الحصار. ولذلك يمكن أن نطلق على عمل النقابين بأنه عمل (عسكري – مدني)، فهم يعملون في وقت الحرب وفي وقت السلم أيضاً.

ولم يكن النقب عملاً عشوائياً، بل كان له مراحل وخطط وأساليب يمر بها. ولكن التساؤل الجوهري هنا، وقبل الخوض في تفاصيل مراحل وخطط النقب، هو متى يبدأ النقابون عملهم؟ فقبل أن يشرع النقابون في العمل يتم إستطلاع المكان المحاصر، وإستكشاف عدة أمور خاصة بهذا المكان، وبعدها يتقرر النقب من عدمه. من هذه الأمور عدد أفراد الحامية بداخل المكان المحاصر، وكذلك تحديد المنطقة الأضعف من السور لنقبها، ثم ثالث هذه الأمور وهى تحديد سمك وطول المنطقة المستهدفة بالنقب من هذا السور. أما بالنسبة لعدد الحامية بالداخل، فإذا إطمأن النقابون إلى أن عدد الحامية بالداخل قليل وأنه بالإمكان إستخدام النقب، عندها يشرعون في النقب. فعند حصار صلاح الدين لحصن بيت الأحزان عام ١١٧٩م/٥٧٥هـ[١٠٠]، قام بداية بإستطلاع المكان، فرأى أن الصليبيين قد أوقدوا ناراً خلف كل بوابة من بوابات الحصن، عندها تأكد أن عدد الحامية بداخل الحصن قليل. فأمر النقابين بالشروع في نقب السور. كذلك يتم فحص السور أحياناً لإختيار أضعف المناطق فيه قبل الشروع في النقب، ثم يبدأ المهاجمون بنقب هذا الجزء

الضعيف من السور [١٠١]. ففي عام ١١١٠م/٥٠٣هـ حاصر حاكم دمشق ظهير الدين طغتكين[١٠٢]، بعلبك. وذلك لأن حاكمها سعد الدين كمشتكين الخادم[١٠٣] تحالف سراً مع الصليبيين. وقرر ظهير الدين نقب سورها، فاستكشف المناطق الضعيفة من هذا السور أولاً، ثم وجه النقوب نحوها. وفي ذات الوقت نصب آلات الحصار الأخرى حول السور، وخاصة المنجنيقات[١٠٤]. أيضاً في عام ١١٣٣م/٥٢٧هـ خضعت بانياس[١٠٥] لحصار شمس الملوك إسماعيل بن بوري[١٠٦]. وبعد أن وضع آلات الحصار، قام بفحص أجزاء السور المختلفة، وعندما وجد منطقة ضعيفة منه أمر النقابين بالنقب أسفلها[١٠٧]. كذلك في عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ ضرب صلاح الدين الحصار حول يافا، فاستكشف سورها. ثم وجه المنجنيقات نحو أضعف منطقة منه، وأمر النقابين بالنقب أسفلها[١٠٨]. ويلاحظ أن صلاح الدين إستهدف منطقة البدنة من سور يافا، ونقبها بطولها. والبدنة، في العادة، تكون الأضعف في السور. كما أن وسط البدنة، على وجه التحديد، يكون بعيداً عن أعين أفراد الحامية الذين يعتلون الأبراج، وخاصة عندما تكون المسافات بين الأبراج كبيرة. وبناءً عليه يفضل أن تكون المسافات بين الأبراج صغيرة، أي يقل طول البدنة بشكل يسمح للحامية المعتلية للأبراج بالدفاع عن هذه البدنة[١٠٩].

يتضح من الأمثلة السابقة أن المنطقة الضعيفة من السور هى المستهدفة بالنقب. ولعل السبب في ذلك هو أن المناطق الضعيفة تكون سهلة السقوط بالنقب، خاصة في حالة وجود ضربات متتالية بقذائف الأحجار من المنجنيقات والعرادات تستهدف تلك المنطقة الضعيفة، وبالتالي تزيد من إضعافها. كذلك فإن هذه المناطق الضعيفة من السور يسهل خلع الأحجار منها أثناء النقب. أضف إلى ذلك أن المنطقة الضعيفة من السور عادة تكون غير سميكة، وهو ما يعني أنها لا تحتاج إلى أخشاب كثيرة في التعليق. فكلما صغر سمك السور لا يحتاج إلى أخشاب كثيرة في التعليق، وعلى العكس من

ذلك إذا زاد سمك السور.

بعد التأكد من عدد الحامية، وكذلك بعد فحص المواضع الأضعف في السور، قد يلجأ النقابون إلى تفحص السور من حيث السمك والطول. وكلما تمتعت القلعة أو الحصن بأسوار ضخمة وسميكة، عندها يكون النقب هو الوسيلة الأمثل لإقتحام هذا السور. أما تحطيمه بالكباش[١١٠] أو المنجنيقات والعرادات فيكون أمراً مستحيلاً تقريباً[١١١]. وهناك مثال على ذلك عندما حاصر بوهيموند النورماني Bohemond of Norman، أحد قادة الحملة الصليبية الأولى، مدينة دورازو Durazzo[١١٢] البيزنطية عام ١١٠٧م/٥٠٠هـ. فقد بدأ بوهيموند بإستخدام الكباش الضخمة لضرب السور، غير أن هذا السور كان من الضخامة والقوة ما حال دون إحداث فتحة فيه بضربات الكباش المتتالية. وعند ذلك لجأ بوهيموند إلى نقب السور من أسفل أساساته. ولكن البزنطيين إكتشفوا أمر نفق النقابين، وهاجموهم تحت الأرض، وأوقفوا تقدم النقابين النورمان[١١٣].

وقد يتشاور المهاجمون بين أمرين، إما أن يبدأوا الحصار بضربات المنجنيق للمناطق الضعيفة من السور، أو أن يبدأوا بنقب الأسوار. أو أن يبدأوا بالإثنين معاً في حالة ما إذا كان الهجوم مباغت وسريع والوقت المتاح للحصار قليل، وهذا ما حدث عند حصار عماد الدين زنكي لإمارة الرها الصليبية عام ١١٤٤م/٥٣٨هـ. فقد شرع في ضرب السور بالمنجنيقات، وفي ذات الوقت وجه الأمر للنقابين بالنقب تحت أساسات هذا السور. ونجح في ذلك، وانهار الجزء المنقوب من السور، بعدما أضعفته ضربات المنجنيق المتتالية وتأثير النقوب[١١٤].

وعلى أية حال، ومما سبق، يمكن القول أن ظروف المكان المحاصر نفسه، وموضع بنائه، وتصميمه، وطبيعة التربة المشيد فوقها، وحاميته وعدد هذه الحامية، وعرض السور، وإرتفاعه، ووجود خنادق حول المكان المحاصر

من عدمه، بالإضافة إلى الظروف المناخية المواتية من أمطار ووحل ورياح وغيرها، أضف إلى ذلك توافر أعداد من النقابين ومساعديهم، وتوافر أخشاب التعليق، ومواد الحشوة، كلها أمور تحدد توقيت بدء عمل النقابين.

ويمر النقب بأربعة مراحل رئيسية هى: مرحلة النقب، ومرحلة التعليق ثم مرحلة الحشو، وأخيراً مرحلة إشعال النيران في الحشوة. وقد ذكر المؤرخ المسلم العماد الكاتب الأصفهاني كافة مراحل عملية النقب في سطر واحد في روايته عن حصار صلاح الدين للقدس الشريف في سبتمبر ١١٨٧م/رجب ٥٨٣هـ، حيث قال:

"وصاروا إلى الخندق (يقصد المسلمين)، فخربوه، وبددوا جمعه وفرقوه، والتصقوا بالسور فنقبوه، وعلقوه، وحشوه، وأحرقوه"(١١٥)

أما مرحلة النقب فتبدأ، إما بحفر نفق تحت الأرض يصل حتى أساسات السور، أو بحفر خندق غائر في الأرض يصل حتى أسفل موضع من السور. وعندما يصل النقب في النفق أو في الخندق إلى الموضع المستهدف من السور تبدأ مرحلة التعليق، وهى تتماشى بالتوازي مع مرحلة النقب، حيث يتم خلع الأحجار من السور أو من أساساته حجراً تلو حجر، وفي كل مرة يتم إحلال أخشاب التعليق محل الأحجار المخلوعة من السور، حتى يتم تعليق جزء كبير من السور. ثم تبدأ مرحلة الحشو، وذلك بحشو الفراغات التي بين أخشاب التعليق. وتستعمل للحشوة مواد مساعدة على الإشتعال، كالأعشاب الجافة والشحوم والدهون الحيوانية. وبعد مرحلة الحشو تأتي مرحلة إشعال النار في الحشوة، وهذه المرحلة لا تبدأ إلا بعد الإنتهاء من التعليق الجيد للأساسات، وذلك بخبرة النقابين ومعرفتهم. ولا يتم إشعال النار في الحشوة إلا بعد إستئذان القائد. وقد يحرص القائد المحنك على دخول نفق النقب بنفسه لمشاهدة عمل النقابين وتشجيعهم. وهذا ما حدث من جانب عماد الدين زنكي عند حصاره للرها عام

١١٤٤م/٥٣٨هـ، كما سبق القول[١١٦].

وقد تطول الفترة الزمنية اللازمة لإنهيار السور بعد مرحلة إشعال النار في الحشوة، وتصل في بعض الأحيان لنصف يوم. ويعود السبب في ذلك إلى نوعية أخشاب التعليق ومدى ضخامتها، وكذلك مدى عرض السور بالنسبة لعرض الجزء المعلق منه، وطريقة التعليق، وطبيعة المواد الداخلة في الحشوة من شحوم ودهون وأعشاب جافة وغيرها. وعلى هذا قد يطول وقت الإنتظار ما بين إشعال النار في أخشاب التعليق وبين إنهيار السور المنقوب. وفي أثناء هذا الإنتظار قد يلجأ المهاجمون إلى إضعاف الجزء العلوي من السور المعلق بضربه بالكباش أو بالمنجنيقات، وهو ما يساعد بدوره على سرعة إنهيار السور.

ويلاحظ أن النقب، كغيره من التكتيكات العسكرية، تسيره خطط وأساليب لضمان نجاحه. ومن أول هذه الخطط تأمين الطريق عبر النفق، من فتحة دخوله وحتى أسفل الأساسات. وقد أوضح ذلك أسامة بن منقذ عندما دخل نفق النقابين أثناء حصار المسلمين لكفر طاب عام ١١١٥م/٥٠٩هـ، كما سبق القول. حيث ذكر أن النقابين أقاموا قائمين من الأخشاب على جانبي النفق وبطوله. وفوق هذين القائمين وضعوا عرضية من الأخشاب القوية لمنع تهدم النفق فوق رأس النقابين. كما أمنوا مدخل النفق نفسه حتى لا يغلق من قذف الأحجار من قبل الحامية المدافعة عن السور[١١٧]. وهذا التأمين بالأخشاب على طول النفق مهم، خاصة في حالة كون التربة ضعيفة وقابلة للإنهيار.

ومن خطط النقب المهمة إلتزام السرية التامة في العمل لضمان النجاح. ولهذا السبب يبدأ النقابون نفق النقب على مسافة بعيدة عن الجدار، محاولين إخفاء موضع مدخل النفق عن أنظار الحامية المدافعة عن المكان المحاصر، حتى لا تقوم هذه الحامية بعمل نفق مضاد تحت الأرض في مواجهة نفق

النقابين المهاجمين(١١٨)، أو يقوم هؤلاء المدافعين بأي عمل قد يهدم نفق النقابين.

وقد يلجأ النقابون إلى النقب من عدة جهات وليس من جهة واحدة، وتسير الأنفاق كلها تحت الأرض بإتجاه أساسات السور. والهدف من ذلك تمويه الحامية، وعدم وصولها إلى الأنفاق ومساراتها. ولو أن النقابين قد نقبوا نفقاً واحداً، فقد يتمكن المدافعون من إكتشاف أمره، وبالتالي يطمرونه فوق رؤوس النقابين. ولكن في حالة تعدد جهات النقب، وبالتالي تعدد الأنفاق، عندها يصعب التخلص منها جميعاً. وقد استخدم تكتيك تعدد جهات النقب في العديد من عمليات الحصار عصر الحروب الصليبية، وفيما يلي بعض منها: عند حصار المسلمين لكفر طاب عام ١١١٥م/٥٠٩هـ شرعوا في نقب السور من عدة جهات، وعلقوا كل منها بأخشاب التعليق، ثم أشعلوا النيران فيها، فسقطت الأجزاء المنقوبة من السور(١١٩). وأثناء حصار عماد الدين زنكي للرها عام ١١٤٤م/٥٣٨هـ، شرع في وضع المناجيق وأدوات الحصار حول أسوار الرها، ثم شرع النقابون في مزاولة عملهم، فبدأوا بالنقب من عدة مواضع، وتحركت الأنفاق كلها بإتجاه الأساس، فنقبوا أسفل منه في عدة مواضع من السور. ونجحوا في ذلك إلى حد بعيد. وفي عام ١١٤٧م/٥٤٢هـ حاصر صليبيوا الحملة الصليبية الثانية (١١٤٧-١١٤٩م/٥٤٢-٥٤٤هـ) مدينة لشبونة Lisbon(١٢٠) في غربي أوربا، وقرروا نقب سورها من عدة جهات، على أن تتجه الأنفاق كلها نحو أساسات السور وتتجمع في موضع واحد معاً. وتم ذلك، ونقبوا نقباً بطول ١٨ متراً. وبعد إشعال النيران في أخشاب التعليق، انتظروا سقوط السور، وسقط بالفعل جزء من السور بطول ١٣ متر تقريباً(١٢١). ونجحوا في إقتحام المدينة، وضاعت لشبونة من أيدي المسلمين. كذلك في عام ١١٧٩م/٥٧٥هـ نقب المسلمون من عدة جهات تحت أساسات برج الحصن، وهو أحد أبراج حصن بيت الأحزان، وذلك عندما شرع صلاح الدين في حصار

هذا الحصن. وفي هذا الحصار تم تقسيم العمل بين المسلمين، فأمر كل قائد نقابيه بالنقب من جهة، حتى السلطان نفسه تولى النقب من الجهة الشمالية. وبلغت جهات النقب أكثر من أربع جهات[١٢٢]. وكان هدف صلاح الدين من ذلك سرعة إنجاز العمل وتحطيم البرج المنقوب. وهكذا يمكن القول بأن النقب من عدة جهات قد يستغرق بعض الوقت والجهد، ولكنه يضمن نجاح عملية النقب بشكل كبير.

ومن خطط النقب المهمة ضرورة معاينة عرض السور ومحاولة التحقق من عرض الأساس قبل البدء في عملية النقب. فكلما كان عرض السور كبيراً صعّب ذلك من عمل النقابين، وفي هذه الحالة كان لابد لهم من زيادة عرض النقب ليتساوى مع عرض الأساسات، أو على الأقل يقارب من عرضها، حتى يضمن النقابون إنهيار السور بعد تمكن النار من أخشاب التعليق. ومن المعروف أن الصليبيين قد بالغوا في زيادة سمك أسوار الحصون والقلاع التي أقاموها، كما زادوا من إرتفاعها حتى تقاوم هجمات الكباش والمنجنيقات والأبراج الضخمة المتحركة، وكذلك لتقاوم أعمال النقب[١٢٣]. وعلى ذلك إذا كان عرض السور أو أساسه أضعاف عرض النقب فلن يسقط السور، إذ لابد وأن يكون عرض النقب حوالي ثلاثة أرباع عرض السور[١٢٤] أو مساوياً لعرض السور أو لعرض الأساس[١٢٥] إذا كان النقب أسفل الأساس. وقد عانى النقابون التابعون لصلاح الدين من هذه المسألة عند حصارهم السالف الذكر لسور حصن بيت الأحزان. فقد نقبوا نقباً تحت الأساسات بعرض ثلاثة أذرع (١,٤ متر تقريباً)، بينما كان عرض السور تسعة أذرع (٤,١١ متر تقريباً)، وكان طول النقب نفسه نحو ثلاثين ذراعاً (١٣,٧ متر تقريباً). وهكذا كان عرض السور نحو أربعة أضعاف عرض النقب، فلم يسقط السور. وبناءً عليه أمر صلاح الدين النقابين بإطفاء نيران النقب، ثم وسعوا هذا النقب وزادوا من عرضه، ثم علقوه وحشوه، وأشعلوا النيران في التعليق، فانهار السور بعد برهة، واقتحم المسلمون

الحصن. وعلى ذلك فإن تحديد عرض النقب بالنسبة لعرض السور كان من الأمور المهمة في خطط النقب.

ولم يكن النقب على الدوام بهدف هدم الأسوار، ولكن قد يكون بهدف تهديد الحامية بداخل المكان المحاصر لإجبارها على الإستسلام. ففي عام ١١٧٦م/٥٧١هـ ضرب صلاح الدين الحصار حول مدينة أعزاز(١٢٦)، واستمر الحصار لمدة ٣٨ يوماً، أمر خلالها النقابين بنقب السور من عدة مواضع. ومع شدة الحصار، وطول مدته، بالإضافة إلى كثرة النقوب في السور، استسلمت أعزاز لصلاح الدين(١٢٧). فصلاح الدين، وعلى ما يبدو، كان حريصاً على عدم هدم سور أعزاز. ولهذا أطال فترة الحصار عن عمد، واستمر التهديد بكثرة النقوب عن عمد أيضاً، حتى استسلمت حامية المدينة لصلاح الدين. ويتضح من ذلك أن كثرة النقوب لم تكن في كل الأحوال بهدف إسقاط السور، ولكن قد تكون لمجرد التهديد والتخويف حتى تستسلم الحامية.

ويختلف الوقت الذي يستغرقه النقب من عملية حصار إلى أخرى. فهناك عوامل عديدة تؤثر في الوقت الذي تستغرقه عملية النقب. من هذه العوامل طبيعة التربة، وعرض السور وضخامته، ومواد البناء من حيث صلابتها أو ضعفها، وأحجام الأحجار المستخدمة في بناء السور، وخطط بناء السور وإرتفاعه، وموقع الحصن أو القلعة المحاصرة، وقوة الحامية المدافعة وعدد أفرادها، وتوقيت الحصار، بالإضافة إلى طبيعة القائد نفسه، فالقيادة المحنكة لها دور دور في الوقت الذي يستغرقه النقب. وعلى هذا فتوقيت النقب يتأثر بعوامل متعددة طبيعية وبشرية ونفسية ومناخية وشخصية وعسكرية، وكافة العوامل التي من شأنها أن تؤثر في وقت عملية النقب. ولكن القيادة الحكيمة الواعية، بالإضافة إلى خبرة النقابين، والدافع وراء النقب نفسه، كلها أمور يمكنها التغلب على مثل هذه الصعوبات وإنجاز عملية النقب في وقت قياسي إلى حد بعيد. فأثناء الحصار السالف الذكر لحصن بيت الأحزان، تم

تقسيم النقب بين قادة صلاد الدين، وشرع كل قائد بنقابيه في نقب جزة من السور، وكان نقب السلطان صلاح الدين هو أول نقب تم إنجازه وتعلقه وحشوه. وذلك بالطبع كان بسبب حبهم للسلطان وإكراماً له، وكذلك بسسب سلوك السلطان نفسه وتشجيعه وتحفيزه للنقابين. فقد دخل بنفسه داخل نفق النقب، وتفقده وأثنى على عمل النقابين، مما كان سبباً ودافعاً لهم لإنجاز عملهم قبل بقية قادة الجيش. وفي عام ١١٩١م/٥٨٧هـ، وأثناء حصار الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد Richard the Lionhearted (١١٨٩-١١٩٩م/٥٨٥-٥٩٥هـ) لعكا أمر النقابين بنقب سورها، وعندما أراد إنجاز ذلك العمل سريعاً، قرر تحفيز جنوده بالمال، فأمر بمنح قطعتين من العملة الذهبية لكل من يأتيه بحجر يخلعه من السور، ثم زاد هذه المنحة إلى أربع قطع تمنح فوراً لمن يأتي بحجر من سور عكا. وقد نجح في ذلك بشكل كبير حتى استسلمت حامية عكا، واقتحم الصليبيون المدينة[١٢٨]. وهكذا يتضح دور القائد المميز في اقتصار وقت عملية النقب وسرعة إنجازها، مع الوضع في الإعتبار العوامل الأخرى التي من شأنها اختصار وقت عملية النقب من عدمه.

والنقب عملية تنطوي على الكثير من المخاطر التي يتعرض لها النقابون أثناء القيام بعملهم. ومن أبرز المخاطر التي تواجه النقابين ثلاثة مخاطر أساسية هى: خطر مقذوفات الحامية من فوق الأسوار، وخطر إنهيار نفق النقب ثم خطر إنهيار السور المنقوب نفسه فوق رؤوس النقابين. أما خطر مقذوفات الحامية فيكون واضحاً وبارزاً في حالة كان النقب عبر خندق يصل إلى أسفل السور، حيث كانت الحامية المدافعة تتصدى للنقابين بعدة وسائل منها: سكب الماء المغلي من أعلى الأسوار، وكذلك إلقاء الأحجار وكتل الأخشاب الضخمة بهدف تحطيم النقابين وتهشيم الآلات التي يحتمون تحتها. وقد تلقي الحامية بالكلس (الجير) فوق رؤوس النقابين أو ستائرهم التي يحتمون تحتها، كما قد يسكبون القار الذائب أيضاً على آلات حماية النقابين[١٢٩].

ومن جانبهم يتخذ النقابون وسائل وآلات معينة لمحاولة تفادي تلك المقذوفات. ومن أبرز هذه الوسائل "السلحفاة" أو حائط الدروع Shield-wall، وكذلك الحظار Abatis، وهناك وسيلة ثالثة تسمى "الخنزيرة Sow". أما السلحفاة فتكون عن طريق ضم الدروع جنباً إلى جنب من قبل جنود المشاة لحماية أنفسهم من مقذوفات أفراد الحامية، أو لحماية النقابين الذين ينقبون في خندق أسفل الأسوار مباشرة(١٣٠). أما الحظار فهو آداة قديمة لحماية الجنود تعود إلى أيام الرومان. وكانت تصنع من أشجار مقطوعة مدببة الطرف، توضع جنباً إلى جنب بزاوية مائلة بحيث تؤمن النقابين خلفها من المقذوفات التي تلقى من فوق الأسوار، كما يمكن للرماة والمشاة والفرسان أن يحتموا خلفها أيضاً مع النقابين(١٣١). أما الوسيلة الثالثة لحماية النقابين، فهى الخنزيرة Sow، وهى عبارة عن عربة خشبية أو كوخ خشبي متحرك، مزود بعجلات خشبية، وسقف من الخشب القوي المغطى بطبقة من النحاس أو جلود الحيوانات. وتملأ بالجنود من المشاة والنقابين، وتسير عبر الخندق بإتجاه الأسوار. وقد استخدمت هذه الآلة على نطاق واسع في أوربا العصور الوسطى(١٣٢)، ولكن لم تذكر المصادر استخدام مثل هذه الآلة في عمليات النقب عصر الحروب الصليبية.

وهناك نماذج لإستخدام وسائل حماية النقابين عصر الحروب الصليبية. فالسلحفاة استخدمت لحماية النقابين أثناء حصار الصليبيين لنيقية عام ١٠٩٧م/٤٩٠هـ(١٣٣). وفي نفس هذا الحصار أيضاً استخدموا الحظار، فقد جمعوا أخشاب البلوط وجلود الحيوانات، وربطوا أعواد الأغصان جنباً إلى جنب، وجعلوها مائلة بزاوية معينة بطريقة تحمي النقابين ورائها(١٣٤).

وهكذا يمكن القول أن خطر مقذوفات الحامية كان يمثل تحدياً مباشراً أمام النقابين، وهؤلاء بدورهم كانت استجابتهم متمثلة في وسائل الدفاع التي ذكرناها لمواجهة هذا التحدي.

أما فيما يتعلق بخطر إنهيار نفق النقب فوق النقابين فيعود بشكل رئيسي إلى أمرين: أولهما إكتشاف أمر النفق من قبل الحامية، وبالتالي العمل على محاولة طمره فوق رؤوس النقابين. وثانيهما طبيعة التربة ذاتها التي يقوم فوقها السور، فالتربة الجيرية الناعمة ذات الصخور الجيرية اللينة تساعد في تسهيل عملية النقب، وفي ذات الوقت تقلل من الحرص الكبير المطلوب لتعليق النفق بالأخشاب، حيث أن إحتمالية إنهيار النفق في هذه التربة ضئيل. أما التربة السبخية فيصعب عمل النقابين فيها، وينصح بعدم تعميق النفق فيها في باطن الارض، وذلك لسهولة إنهيار هذا النوع من التربة(١٣٥). وقد حدث إنهيار لنفق النقب أثناء حصار صلاح الدين ليافا عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ. فأثناء هذا الحصار شرع النقابون في حفر نقب بطول البدنة، وعندما أتم النقابون عملهم، عرف الصليبيون بأمرهم، واستطاعوا تحديد مسار النفق تحت الأرض، وخسفوه وطمروه فوق رؤوس النقابين، فهلك منهم عدد، ونجا عدد آخر(١٣٦). ويدلل ذلك على مدى خطر إنهيار النفق بالنسبة للنقابين.

وبالنسبة لخطر إنهيار السور المنقوب نفسه، فهو أمر وارد بالنسبة للنقابين(١٣٧)، وهو يشكل خطراً فادحاً على أرواحهم وأرواح العمال الآخرين المساعدين لهم. فأثناء حصار حاكم الموصل جاولي سقاو(١٣٨) لمدينة بالس(١٣٩) عام ١١٠٩م/٥٠٢هـ، والتي كانت تابعة لحكم حلب في ذلك الوقت، أمر جاولي النقابين بنقب أحد أبراج المدينة، فسقط هذا البرج على النقابين قبل إتمام عملية النقب، فقتل عدد منهم، وتم بعدها إقتحام المدينة(١٤٠). وفي عام ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ وقبيل لقاء صلاح الدين بالصليبيين في معركة حطين، قرر السلطان استنفارهم بمهاجمته لمدينة طبرية، ومحاصرة حصنها. وأمر النقابين بنقب سور هذا الحصن، فنقبوه وعلقوه وحشوه، ولكن السور إنهار فوق رؤوس النقابين قبل إشعال النيران في الحشوة(١٤١). ولم تتحدث المصادر عما نتج عن إنهيار هذا السور، ولكن من الواضح أنه كان هناك خسائر في أرواح النقابين.

وقد يكون السبب في تجاهل المصادر لهذا الحدث إنتصار حطين نفسه. فهذا الإنتصار العظيم قد طغى على ذكر ما حدث قبله من مآس، ومنها إنهيار سور حصن طبرية على المسلمين المهاجمين، ومنهم النقابين بطبيعة الحال.

وعلى أية حال، فإن كل ما يتعرض له النقابون من مخاطر، أثناء قيامهم بالنقب، يشكل خطراً على أرواحهم في المقام الأول. وذلك بحكم كونهم موجودون بشكل مباشر أسفل الأسوار، أو تحت الأرض في أنفاق النقب، وبالتالي فهم أكثر عرضة للخطر في حال إنهيار السور المستهدف بالنقب.

وهناك وسائل دفاع معينة ضد أعمال النقب تتخذ منذ بداية تأسيس الحصن أو القلعة، من هذه الوسائل إختيار مكان البناء بحيث يكون فوق هضبة صخرية ضخمة. وهناك وسيلة أخرى أيضاً كأن يتم حفر خندق يحيط بالحصن أو القلعة. وهناك وسيلة ثالثة فعالة أيضاً وهى أنهم كانوا يعمدون إلى زيادة سمك السور وأساساته، مع الحرص على إختيار أنواع من الأحجار شديدة الصلابة والضخامة. كذلك كان بناة القلاع يرمون إلى إختيار موضع مركزي وسط الحصن لإقامة القلعة فيه، حتى يصعب وصول أنفاق النقابين إليها. من ناحية أخرى حرص المصممون على أن تكون صهاريج المياه بالقرب من الأسوار حتى يتمكنوا من إغراق أي نفق يشق من خارج الأسوار بهدف نقبها. وفيما يلي توضيح لتلك الوسائل بشكل أكثر تفصيلاً.

أما إختيار موضع البناء فهو أمر مهم لتأمين المعاقل ضد أعمال النقب. فقوة المباني العسكرية في العصور الوسطى تعود إلى إختيار الموقع المناسب لتأسيسها[١٤٢]. فكان تأسيس الحصن أو القلعة فوق صخرة ضخمة وصلبة يجعل الحفر والنقب فيها أمراً صعباً، مما يجبر النقابون على إستعمال النقب الظاهري بدلاً من النقب الباطني، بل وحتى النقب الظاهري لا يصلح إذا كانت هذه الصخرة الضخمة المشيد فوقها الحصن شديدة الإنحدار، حيث لا توجد أرضية مستوية لنصب آلات الحصار فيها ولحفر الخنادق اللازمة لنقب

الأسوار[١٤٣]. أما إذا كان الحصن مشيداً في أرض سهلية مفتوحة، ذات تربة طينية رخوة، عندها يكون النقب خياراً متاحاً لنقب أساسات السور عبر أنفاق النقب[١٤٤]. وتعد قلعة الكرك[١٤٥] من الأمثلة الواضحة على هذا النموذج من تصميم القلاع، فهى مشيدة فوق مرتفع صخري تنحدر سفوحه من الجانبين بشدة، وتحيط بها الأودية من كل جانب. وإضافة إلى ذلك، فهى مدعمة بخندق يحيط بها، تم حفره في قلب الصخور الصلبة[١٤٦]. والكرك نموذج واضح على مدى قوة التحصين في العصور الوسطى وفي عصر الحروب الصليبية بشكل خاص، كما يمكن القول أنه نموذج مثالي للحصون المصممة ضد أعمال النقب.

وبناءً على ما سبق، كان بناة القلاع في العصور الوسطى يبحثون عن الصخور والهضاب الصخرية الصلبة لإقامة القلاع فوقها. وفي حالة عدم وجود تلك الصخور أو الهضاب المرتفعة في المنطقة المراد إقامة القلعة فيها، عندها يتم تصميم هضبة صخرية صلبة، وذلك عن طريق جلب الأحجار الكبيرة، ووضعها بنظام في باطن الأرض، بحيث تكون طبقة واحدة كمصطبة تحت البناء، أو قد تزداد إلى عدد ممن الطبقات الصخرية أو المصاطب، بحيث تشكل ما يشبه التلة أو الهضبة الصخرية[١٤٧]. والهدف من ذلك محاولة تفادي أي عملية نقب من قبل المهاجمين في حالات الحصار.

ومن الوسائل التي تتخذ لتفادي النقب أيضاً الخنادق. فهى وسيل مهمة ضد أعمال النقب، ويعد من عناصر الدفاع الأساسية لأي حصن أو قلعة. والخندق في أبسط صوره عبارة عن حفر عميق في الأرض المحيطة بالسور[١٤٨]. ويراعى حفر الخندق منذ بداية تأسيس الحصن أو القلعة، ويكون فيه أن يكون خندقاً عريضاً وعميقاً ومساوياً في عمقه لأساسات سور المبنى المحاط بهذا الخندق أو أعمق منه قليلاً، بحيث يمكّن الحامية من إكتشاف أي محاولة للنقب تهدف إلى التحرك نحو أساسات السور. وقد يغمر الخندق بالمياه

فيسمى "خندق مائي"، وهو يمثل عائقاً أمام النقابين، بل وقد يؤدي إلى إنهيار نفق النقب نفسه. ويلاحظ أن معظم الخنادق المحيطة بالقلاع الصليبية كانت "خنادق جافة"(١٤٩).

والجدير بالذكر أن الحاميات كانت تلجأ أحياناً إلى تعميق الخندق، وزيادة عرضه قليلاً، إذا ما علمت بوجود أعمال حفر للنقابين تحت الأرض، وذلك بهدف إعاقة عمل هؤلاء النقابين(١٥٠). ومن أفضل الأمثلة على القلاع المحاطة بخنادق عصر الحروب الصليبية قلعتي صهيون(١٥١) والداروم. أما الأولى فتسمى أيضاً بقلعة صلاح الدين، وهى محاطة بخنادق طبيعية عبارة عن أودية عميقة وواسعة. وليس لها خندق محفور إلا من جانب واحد هو الجانب الشمالي، وهو خندق مقطوع في وسط الصخور الصلبة. ولذلك مثلت تلك الأودية مع هذا الخندق حماية قوية لهذه القلعة ضد أعمال النقب(١٥٢). أما قلعة الداروم فقد حاصرها ريتشارد قلب الأسد عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ، ونقب سورها، على الرغم من أنها كانت محاطة بخندق من جميع جهاتها(١٥٣)، ولكن يبدو أن هذا الخندق لم يكن عميقاً بما يكفي، ولذا تم النقب ووصل النقابون إلى أسفل الأساسات.

كذلك حاول مؤسسوا القلاع عصر الحروب الصليبية تفادي أعمال النقب بإختيار الأحجار الصلبة القوية والضخمة في البناء. فالأحجار القوية لا تهتز من مواضعها، وتصمد أمام ضربات الكباش والمنجنيقات، أما الأحجار الضخمة فمن الصعب خلعها من بين الأحجار الأخرى بواسطة النقابين. وبعد إختيار هذه الأحجار، يتم بناء السور بمهارة ودقة بواسطة عمال مهرة، حتى يثبتون الأحجار في مواضعها بمهارة يصعب معها خلع أي حجر من مكانه، مما يصعب، بدوره، من مهمة النقابين(١٥٤).

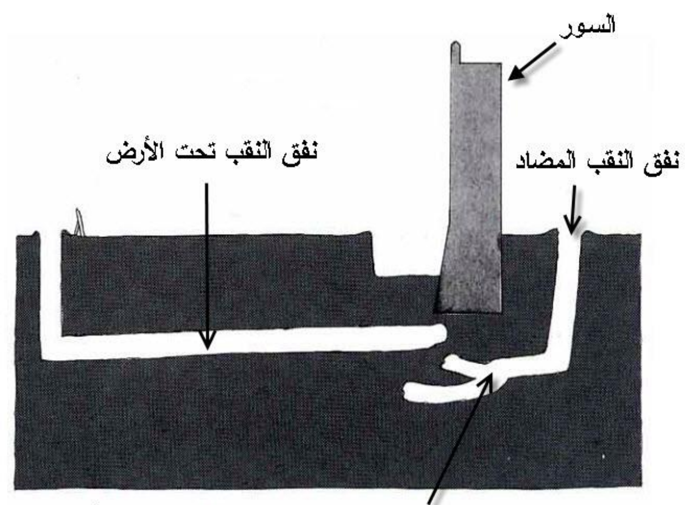
ويلجأ البعض إلى حيلة أخرى لتقوية الأسوار وأساساتها ضد أعمال النقب والزلازل وآلات الحصار، وهى وضع الأعمدة القديمة الطويلة بشكل

طولى في أساسات السور أو في السور نفسه، حتى تحدث تماسكاً وترابطاً بين أحجار السور. وهذه الأعمدة كان يتم الحصول عليها من أطلال القلاع أو الحصون أو أي مبان قديمة يوجد بها مثل هذه الأعمدة الطويلة. وأفضل الأمثلة على ذلك قلعة جبيل(١٥٥)، فهذه القلعة بناها الصليبيون في القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري، وأثناء البناء اعتمدوا على الأعمدة الطويلة لقلعة جبيل القديمة التي بناها الفرس قبل الميلاد. فقد قاموا بقطع النهايات الدائرية لهذه الأعمدة ووضعها بشكل أفقي في الجزء الشمالي من السور الخارجي للقلعة. وبذلك تم تدعيم وتثبيت السور ضد أعمال النقب التي كانوا يتوقعونها من جانب المسلمين، أو ضد الزلازل وآلات الحصار(١٥٦).

كذلك لجأ مؤسسوا القلاع في العصور الوسطى إلى وسيلة أخرى لتفادي أعمال النقب التي قد تقع ضد القلعة، وتتمثل في إختيار موضع مركزي للقلعة في وسط الحصن أو المدينة، وذلك لأسباب عديدة أهمها: تفادي مقذوفات المنجنيقات من خارج الأسوار، وحتى لا تكون هذه القلعة هدفاً مباشراً لأي جيش مهاجم قد يقتحم الأسوار. كما أن الموضع المركزي للقلعة يجعلها بعيدة عن أنفاق النقابين المتقدمة تحت الأرض من خارج أسوار الحصن نفسه. ويلاحظ أن هذه القلاع المركزية كانت مكلفة للغاية في بنائها في عصر الحروب الصليبية(١٥٧). ومن أمثلة القلاع ذات التصميم المركزي في وسط الحصن قلعة كوكب الهوى.

أيضاً كان يراعى عند تخطيط الحصون والقلاع أن يكون موقع صهاريج المياه بالقرب من الأسوار، وفي حال محاولات نقب هذه الأسوار يتم استخدام مياه تلك الصهاريج لإغراق أنفاق النقابين، مما يوقف تقدمهم في أعمال النقب(١٥٨). ومن الواضح أن هذه الطريقة كانت ناجحة في حال إكتشاف إكتشاف موقع نفق النقابين، ومحاولة فتح ثغرة فيه، وضخ المياه منها إلى داخل النفق.

أما فيما يتعلق بوسائل الدفاع ضد أعمال النقب، في أثناء الحصار، فهى متعددة ومتنوعة، وأشهرها ما يسمى بـ "النقب المضاد Countermining"(١٥٩). وهى تقنية يقوم بها أفراد الحامية المدافعة بعد تأكدهم من وجود نقابين يحفرون أسفل أسوار قلعتهم. حيث يقوم المدافعون بحفر نفق في مواجهة مسار نفق النقابين المهاجمين، حتى يلتقي النفقان معاً تحت الأرض، ويتم الإشتباك مع النقابين المهاجمين، ثم يتم طمر نفقهم(١٦٠). وقبل شروع الحامية في تنفيذ استراتيجية النقب المضاد، يجب التأكد من وجود نفق معادٍ يسير متقدماً تحت الأرض ناحية أسوارهم، وفي ذات الوقت لابد من تحديد مسار هذا النفق بدقة وهل هو مستقيم أم متعرج؟، وهل تمكن النقابون المهاجمون من الوصول إلى الأساسات أم لم يصلوا بعد. وبعد تحديد كل ذلك، وبعد التأكد من أن النقابين المهاجمين لم يصلوا بعد إلى الأساسات، عندها يتم عمل نفق مضاد في مواجهة نفق النقابين المهاجمين مباشرة، لوقف تقدمهم بشكل فوري. أما في حالة وصول النقابين المهاجمين إلى الأساسات، فيجب عمل نفق مضاد يمر أسفل نفق النقابين المهاجمين، ثم يفتح وسط نفق المهاجمين، ويقاومونهم بالوسائل المتبعة في مثل هذه الحالات وأهمها الدخان الكثيف، والنار الإغريقية(١٦١).



شكل رقم (٤) – النقب المضاد

وقد يمر النفق المضاد فوق نفق النقابين المهاجمين وليس أسفله. ثم يقومون بفتح ثغرة فوق نفق المهاجمين، ويتم فتح صهاريج المياه في هذه الثغرة، فيغرق النفق والنقابين. ومن الحيل المضادة للنقب والمتبعة في وقت بناء القلاع محاولة عمل نقوب مضادة، وذلك إستعداداً لفتحها فوق نقوب النقابين المهاجمين، في حالة وقوع القلعة تحت أي حصار[١٦٢]. وتجدر الإشارة إلى أن تقنية النقب المضاد كانت محدودة الإستخدام في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ولكن إزداد إستخدامها بشكل كبير في القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري[١٦٣].

ولم يكن بالأمر السهل إكتشاف أمر النقابين المهاجمين، وتحديد إتجاه نفقهم. فقد كان ذلك بحاجة إلى أناس متمرسون ذووا خبرة في حفر الأنفاق، وإستخدام خطط النقب. ومن الوسائل التي أتبعت لإكتشاف أمر النقابين ملاحظة وجود أكوام كبيرة من التربة خارج الأسوار. وإذا كان المهاجمون قد

استطاعوا التخلص من هذه الأكوام، فإن المدافعون كانوا يلجأون إلى وسيلة "التنصت"، وتتم عن طريق إستلقاء أحد الأشخاص على الأرض، ثم يضع أذنه على الأرض ويقترب ويصنت، ويكرر ذلك في عدة مواضع من الأرض، حتى يتمكن من سماع صوت الحفر، وهو في العادة يكون صوتاً عميقاً وبعيداً. عندها يتأكدوا من وجود أعمال نقب على مقربة من الأسوار. أو قد يستخدموا وسيلة أكواب المياه، وهى تتمثل في وضع أكواب مملوءة بالماء فوق الأسوار، أو فوق طبول أو دفوف كبيرة، وملاحظة سطح الماء في الأكواب. فعند وقوع أعمال حفر تحت الأرض، تهتز المياه بداخل الأكواب، محدثة تموجات لسطح المياه بالأكواب. ويتم التنقل بهذه الأكواب من موضع لآخر، حتى يتم تحديد موضع النقابين ومسار نفقهم بشكل واضح[١٦٤].

وهكذا، بعد تحديد نفق النقابين ومساره وإتجاهه، يتم التعامل معه من قبل الحامية بعدة وسائل دفاعية عبر النفق المضاد. من هذه الوسائل إغراق النقابين بسكب مياه الصهاريج أو سكب المياه من أي بئر أو نبع قريب عليهم، مما يؤدي إلى هلاك النقابين المهاجمين[١٦٥]. وهناك وسيلة أخرى تتمثل في إستخدام الدخان الكثيف وتوجيهه خلال نفق النقابين المهاجمين، مما يتسبب في موتهم خنقاً[١٦٦]. واستخدم البعض وسيلة ثالثة تمثلت في عمل قنابل بالجير (الكلس)، حيث كانوا يضعون هذا الجير في قدور تغلق جيداً، ثم توضع في نفق النقابين المهاجمين. وعند كسرها يسبب غبار الجير إختناق النقابين وتشويش الرؤية لديهم[١٦٧]. وفي أيٍ من الحالات السابقة يتعرض النقابون في كلا الجانبين (المهاجم والمدافع) لخسائر فادحة وأضرار جسيمة.

غير أن إستراتيجية "النقب المضاد" يشوبها بعض العيوب، أولها: أن النفق المضاد كان يشكل خطراً على السور نفسه، فهو يضعفه من الأسفل، خاصة في حالة عدم إلتقاء النفقين معاً. فوجود نفقين أسفل هذا السور، بالإضافة إلى ضربات الكباش والمنجنيقات المحتملة، عوامل تزيد من ضعف

السور[١٦٨]، مما يؤدي في النهاية إلى إنهياره. أما ثاني هذه العيوب فيتمثل في القتال العنيف المحتمل وقوعه بين الطرفين المتقاتلين عند إلتقاء نفقي النقب. فهذا القتال عادة ما كان ينجم عنه خسائر كبيرة في أرواح المهاجمين والمدافعين معاً[١٦٩]، مع الوضع في الإعتبار الأسلحة الأخرى التي كان كل طرف يواجه بها الآخر، من نار إغريقية، أو دخان كثيف، أو مياه. فكل ذلك كان يؤدي إلى زيادة في خسائر الطرفين المتحاربين. أما ثالث هذه العيوب التي تعيب النقب المضاد فتتمثل في طبيعة الأجواء نفسها تحت سطح الأرض، من قلة الهواء وصعوبة التنفس، وقلة الضوء أو إنعدامه كليةً، وهى عوامل من شأنها أن تؤثر على النقابين في كلا الجانبين، خاصة عند حدوث إشتباك وقتال بينهما. وبناءً على ما سبق، فالنقب المضاد سلاح ذو حدين للحامية المدافعة عن الأسوار.

وهناك أمثلة لإستخدام "النقب المضاد" في عمليات الحصار عصر الحروب الصليبية. نذكر منها ما حدث عام ١١٠٧م/٥٠٠هـ، فقد قدم البيزنطيون نموذجاً رائعاً للنقب المضاد أثناء حصار بوهيموند النورماني لمدينة النورماني لمدينة دورازو البيزنطية. فقد بدأ بوهيموند النقب في خندق غائر في التربة، وغطى سطح هذا الخندق بأخشاب للحماية من مقذوفات حامية دورازو البيزنطية. ثم عمقوا هذا الخندق وحولوه إلى نفق تحت الأرض، ووصلوا بالحفر حتى أسفل أساسات سور المدينة. وعندما استشعرت الحامية البيزنطية بالخطر قاموا بعمل نقب مضاد، ووسعوه بدرجة كبيرة حتى يستوعب نفق النقب التابع للنورمان. وترقبوا أصوات الحفر حتى تمكنوا من تحديد مسار نفق النقابين النورمان، وعلموا أنهم اقتربوا بالحفر حتى أسفل الأساسات. عندئذٍ قرروا حفر نفق مضاد حتى وصلوا إلى نفق النورمان. ثم باغتوهم بالنار الإغريقية، فأحرقت وجوههم ولحاهم، وفروا هاربين من هول هذه النيران، وفشل النورمان في إنجاز نقبهم[١٧٠]. ويستنتج من ذلك أن البيزنطيين كانوا على دراية

بإستراتيجيات نقب الأسوار، وملمين بها، وبوسائل مناهضتها، وخاصة وسيلة النقب المضاد والأسلحة المستخدمة فيه، وأهمها النار الإغريقية.

وهناك مثال آخر للنقب المضاد عصر الحروب الصليبية، وقع أثناء حصار الصليبيين لعكا عام ١١٩١م/٥٨٧هـ. فقد قام الجنود الفرنسيون في الحملة الصليبية الثالثة بحصار عكا، ثم شرعوا في نقب أحد الأبراج في سور المدينة. ولكن أفراد الحامية التركية داخل عكا علموا بأمر النقب، فقاموا بعمل نفق مضاد، والتقوا مع النقابين الفرنسيين تحت الأرض، ولكن لم يحدث قتال، فقد تهادن الطرفان معاً، وتصالحوا، على أن يفك المسلمون أسر عدد من الأسرى الفرنسيين المحتجزين عندهم[١٧١].

وهناك وسيلة أخرى تلجأ إليها الحامية المدافعة لوقف تقدم المهاجمين خاصة بعد مرحلة سقوط السور على يد النقابين. حيث كانوا يقومون سريعاً ببناء الجزء المنهار من السور المنقوب. وهذا الأمر يتطلب تيقظ الحامية بشكل مستمر طوال فترة الحصار. فتيقظ الحامية من أهم وسائل الدفاع ضد أعمال النقب. فالجزء المنهار من السور لابد وأن يبنى على عجل في نفس الموضع المنهار مباشرة، وذلك إذا كان مجرد ترميم بسيط. أما في حالة الإنهيار الكامل للجزء المنقوب، فيبنى السور على مسافة قصيرة من الجزء المنهار من ناحية الداخل. ويفضل أن يكون هذا الجدار الجديد على شكل مثلث ذو ضلعين يصلان بين طرفي الجدار القائم، فهذا الشكل المثلث يتيح للحامية من الداخل مراقبة الجزء المنهار من جانبين هما ضلعي المثلث. وبهذا الجدار الجديد يصبح موضع الجزء المنهار أقوى من بقية أجزاء السور[١٧٢]. وهناك تطبيق عملي لخطة إعادة بناء الجدار المنقوب أثناء حصار الصليبيين لمدينة نيقية في مايو عام ١٠٩٧م/جمادى الأولى ٤٩٠هـ. فأثناء هذا الحصار أتم الصليبيون تعليق الأخشاب في الليل، وأشعلوا فيها النيران، فسقط جزء من السور بالليل. وكانت الحامية التركية متيقظة لذلك الأمر، فقاموا سريعاً ببناء

الجزء المنهار، وأصبح الصليبيون وقد وجدوا الجزء المنهار قد تم ترميمه بالليل، فاستاءوا لذلك، وشعروا أن عملهم قد ذهب بلا طائل[١٧٣]. وأمد ذلك فترة الحصار الصليبي للمدينة لبرهة من الوقت.

ويلاحظ أن هذه الوسيلة في الدفاع ضد أعمال النقب تكون مجدية عندما لا ينهار السور بشكل كامل نتيجة لأعمال النقب، فإنهيار جزء بسيط منه يسهل ترميمه من جانب الحامية المدافعة. كذلك تكون هذه الوسيلة في الدفاع فاعلة عندما تكون الحامية متيقظة وعارفة بأمر النقب، حيث أنهم سوف يستعدوا للإنهيار المحتمل للسور. كما أن فاعلية هذه الوسيلة تتطلب وجود المواد اللازمة لترميم السور من أحجار، وأخشاب، ومواد بناء، ورماة سهام يوفرون الحماية لمن يقومون بترميم السور المنهار.

وتوجد وسيلة أخرى للدفاع ضد أعمال النقب تستعمل في حالة سقوط السور بعد نقبه، وتتمثل في وضع أخشاب ضخمة وكثيرة خلف السور المنقوب، ثم إشعال النار فيها. فتشتعل تلك الأخشاب، ويعلو اللهب بشدة، ويعوق تقدم الغزاة عبر هذه الفتحة من السور. وقد حدث تطبيق فعلي لهذه الوسيلة على يد صلاح الدين عند حصاره ليافا عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ. فقد أمر صلاح الدين بنقب سور قلعة المدينة، فسقط جزء من السور، فقام الصليبيون بالداخل بوضع أكوام من الأخشاب الضخمة خلف الجزء المنقوب، وأشعلوا فيها النيران، فارتفع اللهب بقوة، وحال دون دخول قوات صلاح الدين. ولكن مع بوادر الصباح إنهار بقية السور المنقوب، واستطاع المسلمون دخول يافا وإستردادها[١٧٤].

وهناك ملاحظة على هذه الوسيلة في الدفاع ضد النقب، فهى تتطلب توفير كميات كبيرة من الأخشاب داخل المكان الواقع تحت الحصار، ووجود مواد أيضاً تساعد على الإشتعال السريع لهذه الأخشاب. كذلك يلاحظ أيضاً أن هذه الوسيلة في الدفاع تعد وسيلة وقتية، حيث أنه عقب إنتهاء إشتعال

الأخشاب وخمود اللهب يمكن للمهاجمين الإقتحام مثلما حدث أثناء حصار يافا السالف الذكر. وبناءً عليه، فإن هذه الوسيلة وقتية في الدفاع، وهى غير فاعلة بشكل كبير، ولكنها قد تمنح الحامية بعض الوقت لتجميع قواها مرة أخرى ومواصلة الدفاع.

وكغيرها من إستراتيجيات القتال، كان لإستراتيجية النقب مميزاتها وعيوبها في عصر الحروب الصليبية. ومن أهم مميزات عملية النقب "حرية العمل"، بمعنى أن النقابين كانوا يحفرون تحت سطح الأرض حتى يصلوا إلى أسفل أساسات الجدران بحرية، إلى حد بعيد، دون أية مضايقات من الحامية المدافعة. فمن الصعب أن تحدد الحامية الموقع الدقيق لمسار نفق النقابين تحت الأرض. وإن إستطاعوا ذلك، وقاموا بعمل نفق مضاد، فإنهم سيواجهون قتالاً عنيفاً من النقابين المهاجمين(١٧٥). وعلى هذا فعملية النقب، رغم مخاطرها، إلا أن النقابين تحت الأرض أقل عرضة لضربات الحامية. وهم على عكس الجنود العاملين على الكباش والمنجنيقات وبقية جنود المشاة الذين يتعرضون بشكل مباشر لمقذوفات الحامية المدافعة من أحجار ونيران وسهام وحراب وكافة المقذوفات التي يمكن أن تلقى من فوق الأسوار.

أما فيما يتعلق بعيوب إستراتيجية النقب فيعد البطء هو أول هذه العيوب. فنقب الأسوار تحت باطن الأرض عملية بطيئة وشاقة وأقل فاعلية في إختراق الأسوار، على عكس الكباش والمنجنيقات(١٧٦). كما أن إستخدام النقب يخضع لظروف التربة والمناخ وطريقة بناء وتصميم الحصن أو القلعة بالإضافة إلى عرض السور ونوعية الأحجار، وكافة الظروف التي من شأنها أن تؤثر في عملية النقب. أما المنجنيقات فهى على النقيض من ذلك يمكن أن تستخدم في أي وقت وتحت أي ظروف(١٧٧).

ومن عيوب إستراتيجية النقب أيضاً تعرض أعداد كبيرة للهلاك من الجانبين المهاجم والمدافع جراء إنهيار السور الناتج عن نقب الأساسات. وقد

حدث هذا أثناء سقوط سور مدينة الرها عقب نقب عماد الدين زنكي لأسوارها عام ١١٤٤م/٥٣٨هـ(. فقد أشار ابن القلانسي إلى وجود قتلى من الجانبين الإسلامي والصليبي بسبب إنهيار السور المنقوب، حيث قال:

"فلما أطلقت النار في تعليق النقوب، تمكنت من أخشابها، وأبادتها، فوقع السور في الحال، وهجم المسلمون البلد بعد أن قتل من الجهتين الخلق الكثير على الهدم"(١٧٨)

وعلى هذا فلابد من مراعاة لحظة سقوط السور عقب إشعال النيران في أخشاب التعليق، وأن يكون المهاجمون بعيداً عن السور بما يكفي لتأمينهم من مخاطر إنهيار السور عليهم، خاصة وأنه يصعب التنبؤ بالوقت الذي تستغرقه النيران لإلتهام أخشاب التعليق، وبالتالي يصعب التنبؤ باللحظة التي سينهار فيها السور.

وعلي أية حال، يمكن القول بأن عمليات نقب الأسوار كانت مجدية على الجانب الإسلامي، ولكنها لم تكن كذلك على الجانب الصليبي. فبالنسبة للجانب الإسلامي تعد إستراتيجية النقب مجدية لعدة أسباب أهمها: أن المسلمين إستخدموها بشكل متكرر ضد المعاقل الصليبية منذ الربع الأول من القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري، وتوسعوا بشكل كبير في إستخدامها بعد معركة حطين، حيث أسقط صلاح الدين المعاقل الصليبية واحداً تلو الآخر في فترة وجيزة إمتدت من عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ وحتى عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ. وسبب ذلك يعود إلى خلو مملكة بيت المقدس من المقاتلين الذين هلك غالبيتهم في معركة حطين. كذلك فإن المسلمين هم أصحاب الأرض وأحق بها، ويرون أنهم أصحاب قضية. فهم يهاجمون الحصون والمعاقل الصليبية بكل قوة وحسم، ولا يضيرهم أن يموتوا دون ذلك. وهم بذلك على عكس الصليبيين المعتدين الغزاة. من ناحية أخرى فالمسلمين أصحاب

خبرة في خطط النقب وتطبيقها آنئذ، وخاصة الخرسانيين والحلبيين منهم، كما أنهم هم الأدرى بجغرافية أرضهم وتربة بلادهم. وبناءً عليه فهم الأقدر على إستخدام إستراتيجية النقب وأدرى بأسرارها من الغزاة. أما على الجانب الصليبي، فلم تكن تقنية نقب الأسوار مجدية بالنسبة لهم، فهم ليسوا أصحاب الأرض، وهم دخلاء غزاة، وبناءً عليه كانوا في معظم فترات عصر الحروب الصليبية مدافعون أكثر منهم مهاجمون، وكانت أهم وسائلهم في الدفاع الحصون والمعاقل المسورة.

وفي ختام هذه الدراسة نخلص منها ببعض النتائج، أهمها:

أن هناك بعض الباحثين يختلط عليهم الأمر بين مصطلحين في إستراتيجية النقب هما "Sapping" و "Mining"، وكلاهما يعني "نقب" باللغة العربية. فالأول يعني نقب الأسوار عبر خنادق تصل إلى أقرب موضع أسفل السور، وملاصق له. ويتم تغطية هذه الخنادق بالأخشاب القوية للحماية من مقذوفات الحامية المدافعة. والعمال القائمين على هذا النوع من النقب يطلق عليهم إسم "Sappers". أما المصطلح الثاني وهو "Mining" فيعني نقب أساسات السور أو السور نفسه تحت سطح الأرض، وعبر أنفاق تسير في باطن التربة بإتجاه أساسات الجدران، حتى تصل إليها، وتقوم بخلع أحجارها، وإحلال أخشاب التعليق محلها. والعمال القائمين على هذا النوع من النقب يدعون "Miners". ويلاحظ أن مهمات النقابين في النوعين تنطوي على خطورة واضحة كما سبق ذكره في الصفحات السابقة.

يلاحظ أن الوصف الدقيق لعمل النقابين قدمه لنا المؤرخون المتخصصون، أو الذين كانوا جنوداً أو فرساناً في جيوشهم، أو كانوا على مقربة من أهل الحرب والقادة في عصر الحروب الصليبية. أما المؤرخون الآخرون غير المتخصصين، كرجال الدين مثلاً، فقد وصفوا النقابين وأعمالهم كمار روى لهم شهود العيان. والمثال على ذلك المؤرخ الصليبي القس ألبرت

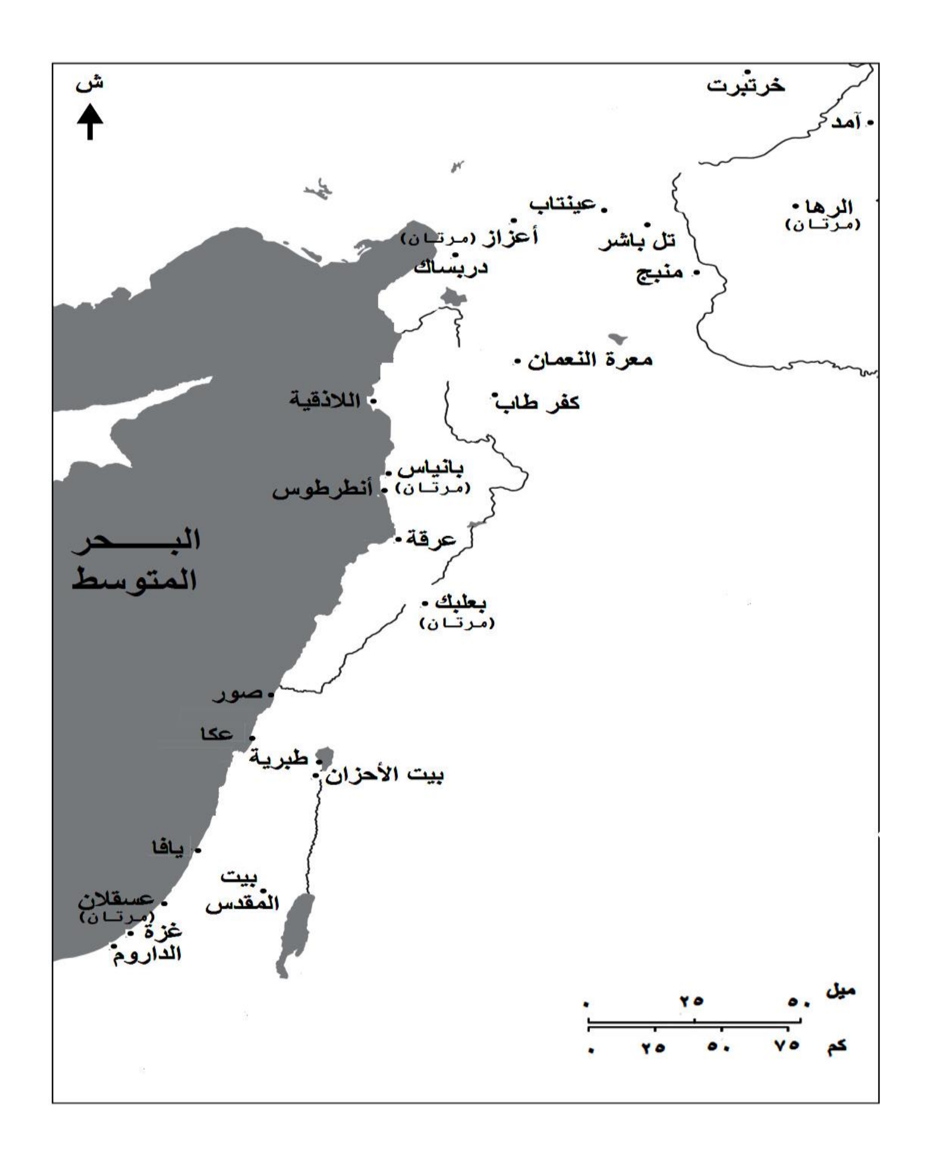
الأيكسي Albert of Aix، والمؤرخ القس أيضاً فوشيه الشارترى Fulcher of Chartres، والمؤرخة الأنثى آنا كومنينا Anna Comnena، وهى أنثى وأديبة ومؤرخة في ذات الوقت. أما المؤرخ المجهول، والذي يرجح أنه كان فارساً في جيش القائد الصليبي بوهيموند النورماني، فيتضح من روايته أنه عارف باستراتيجية نقب الأسوار، ولكن وصفه بتفصيل تلك الاستراتيجية جاء مخيباً للآمال إلى حد بعيد. أما المؤرخون المسلمون المقربون من السلطان، من أمثال العماد الكاتب الأصفهاني وابن شداد، فقد جاء وصفهم للنقب وتقاصيله واضحاً إلى حد بعيد. في حين أن الفارس والأمير العربي أسامة ابن منقذ، وعلى الرغم من صفته العسكرية كفارس، إلا أنه أوضح عدم معرفة وجهل بتفاصيل إستراتيجية نقب الأسوار.

واختلف الباحثون حول دور كل من الحجارين والنقابين، ولكن من الواضح أن العمل في الأنفاق كان يجمعهما معاً. ومن الواضح أيضاً أن النقب عمل تعاوني بين النقابين وغيرهم من الطوائف الحرفية في الجيش وأهمهم الحجارين. فبينما كا ن النقابون يتعاملون مع الأساسات ونقبها وتعليقها بالأخشاب، كان الحجارون يتعاملون مع الأحجار وتكسيرها وحملها وإخراجها من الأنفاق. فيمكن القول أن كل ما يخص التعامل مع الأحجار هو من عمل الحجارين، وخاصة إذا كانت أحجار السور أو الأساسات ضخمة ويحتاج التعامل معها إلى خبرة هؤلاء الحجارين.

ذكر بعض الباحثين الغربيين أن الصليبيين تعلموا فن وأساليب الحصار بعد غزوهم للشرق آواخر القرن الحادي عشر الميلادي. وبناءً عليه يمكن القول بأن أهم وسائل الحصار التي طوروها عن المسلمين "إستراتيجية نقب الأسوار"، خاصة إذا ما وضعنا في الإعتبار تفوق المسلمين الواضح في إستخدام هذه الإستراتيجية حينئذٍ. وهذا التفوق الإسلامي في النقب قد شهد به المؤرخ المسلم ابن القلانسي، عندما أشار إلى تفوق الحلبيين في النقب كما ذكر في هذه

الدراسة، وكذلك الملك الصليبي ريتشارد قلب الاسد نفسه الذي استعان بنقابين من حلب عند نقبه لقلعة الداروم عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ. فاستعانة ريتشارد بنقابي حلب شهادة منه بتفوق المسلمين في نقب الأسوار. كذلك فإن سير الأحداث طوال عصر الحروب الصليبية وحتى عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ أثبت بشكل واضح تفوق المسلمين في هذه الناحية، حيث أسقطوا معظم الحصون والقلاع الصليبية بآلات الحصار المعروفة بالتزامن مع عمل النقابين الدؤوب تحت باطن الأرض.

خريطة توضح القلاع والحصون والمدن التي تم نقبها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، وبالتحديد من عام ١٠٩٦م وحتى عام ١١٩٢م. وهذه الخريطة من تصميم الباحث مع الاستعانة بكتاب: The Crusades: An Encyclopedia, ed. By Murray (A.), Santa Barbara: ABC-CLIO, 2006, p.911.



قائمة بكافة المعاقل المنقوبة في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية مرتبة زمنياً

من عام ١٠٩٦م/٤٨٩هـ حتى عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ
نقب سور عرقة (١٠٩٨م/٤٩١هـ)
نقب سور معرة النعمان (١٠٩٨م/٤٩٢هـ)
نقب سور بعلبك (مرتان) (١١١٠م/٥٠٣هـ) و (١١٣٩م/٥٣٣هـ)
نقب سور تل باشر (١١١١م/٥٠٥هـ)
نقب سور صور (١١١٢م/٥٠٥هـ)
نقب سور كفر طاب (١١١٥م/٥٠٩هـ)
نقب سور خرتبرت (١١٢٣م/٥١٦هـ)
نقب سور أعزاز (مرتان) (١١٢٣م/٥١٧هـ) و (١١٧٦م/٥٧١هـ)
نقب سور بانياس (مرتان) (١١٣٣م/٥٢٧هـ) و (١١٥٧م/٥٥٢هـ)
نقب سور الرها (مرتان) (١١٤٤م/٥٣٨هـ) و (١١٤٦م/٥٤١هـ)
نقب سور عينتاب (١١٥٦م/٥٥١هـ)
نقب سور غزة (١١٧٠م/٥٦٦هـ)
نقب سور منبج (١١٧٦م/٥٧١هـ)
نقب سور بيت الأحزان (١١٧٩م/٥٧٥هـ)
نقب سور آمد (١١٨٣م/٥٧٩هـ)
نقب سور طبرية (١١٨٧م/٥٨٣هـ)
نقب سور عسقلان (مرتان) (١١٨٧م/٥٨٣هـ) و(١١٩٢م/٥٨٨هـ)
نقب سور بيت المقدس (١١٨٧م/٥٨٣هـ)
نقب سور أنطرطوس (١١٨٧م/٥٨٣هـ)
نقب سور اللاذقية (١١٨٨م/٥٨٤هـ)
نقب سور دربساك (١١٨٨م/٥٨٤هـ)
نقب سور يافا (١١٨٨م/٥٨٤هـ)
نقب سور عكا (١١٩١م/٥٨٧هـ)
نقب سور الداروم (١١٩٢م/٥٨٨هـ)

هوامش الدراسة

(١) عن نقب سور الرها على يد عماد الدين زنكي أنظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أميدروز، بيروت ١٩٠٨م، ص ٢٧٩؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، جـ ٣، القاهرة ١٩٩٢م، ص٢٣٨؛ ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة ١٩٦٣م، ص ٦٨؛ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق حسنين ربيع، جـ ١، القاهرة ١٩٥٧م، ص ص ٩٣،٩٤؛ ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق خليل المنصور، بيروت ١٩٩٦م، ص ٣٢٥؛ Gibb (H.), "Zengi and the Fall of Edessa, 1144", in A History of the Crusades, Vol. I, ed. By Kenneth Setton, University of Wisconsin Press, 1969, PP. 449-62; علية عبد السميع الجنزوري: إمارة الرها الصليبية، القاهرة ٢٠٠١م، ص ص ٣٠٧-٣١٠.

(2) The Anonymous Byzantine Treatise on Strategy, in Three Byzantine Military Treatises, ed. By Dennis (G. T.), Washington: Dumbarton Oaks, 1985, p. 29; Oman (Ch.), The Art of War in the Middle Ages (A.D. 378-1515), London 1885, p.57; Gravett (Ch.), Medieval Siege Warfare, Oxford, 1990, p.45; StokStad (M.), Medieval Castles, Westport: Greenwood press, 2005, pp.30,36; سميل: فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (١٠٩٧-١١٩٣م)، ترجمة محمد وليد الجلاد، دمشق ١٩٨٥م، ص ٣١٥.

(3) Oman (Ch.), A History of the Art of War, The Middle Ages from the Fourth to the Fourteenth Century, London, 1898, p.549.

(4) Kennedy (H.), Crusader Castles, Cambridge University Press, 1994, p.105; Hulme (R.), Twelfth Century Great Towers-The Case for the Defence, The Castles Studies Group Journal, No. 12: 2007-2008, p.219.

(٥) من أمثلة هذه الكتب كتاب المؤرخ الإنجليزي ريموند تشارلز سميل R. Ch. Smail والذي بعنوان "فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (١٠٩٧-١١٩٣م)". فعلى الرغم من كون هذا الكتاب متخصص في التاريخ العسكري للحروب الصليبية، إلا أن مؤلفه لم يفرد فصلاً مستقلاً أو عنواناً فرعياً لاستراتيجية النقب، وإنما جاء حديثه عن النقب والنقابين في تناوله لعمليات الحصار التي وقعت هنا وهناك على مدار القرن الثاني عشر الميلادي /السادس الهجري. أنظر سميل: المرجع السابق. ومن أمثلة هذه الكتب أيضاً كتاب " Latin Siege Warfare in the Twelfth Century". ففي هذا الكتاب تناول المؤرخ راندال روجرز Randall Rogers عمليات الحصار التي وقعت زمن الحملة الصليبية الأولى وما تلاها من حملات، ثم درس حروب الحصار في غرب أوربا، ولم يفرد، طوال دراسته، فصلاً واحداً مستقلاً لعمليات

النقب، على الرغم من أن هذه الاستراتيجية قد استخدمت في ما يقرب من ٩٠% من عمليات الحصار منذ بداية الحروب الصليبية وحتى عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ. أنظر: Rogers (R.), Latin Siege Warfare in the Twelfth Century, Oxford, 1992.

(٦) من هذه الأبحاث، بحث المؤرخ هاملتون جب H. A. R. Gibb وهو: Gibb (H.), "The Armies of Saladin", in Stanford G. Shaw and Other, eds., Studies on Civilization of Islam (Boston: Beacon Press, 1962), pp.74-90. وهذا البحث له ترجمة عربية في كتاب: هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس وآخرون، القاهرة ١٩٧٩م، ص ص٩٧-١٢٠. وفي هذا البحث شرح هاملتون جب بعض المصطلحات العسكرية في جيش صلاح الدين في نصف صفحة تقريباً، وكان النقابون أحد المصطلحات التي ذكرت اسماً فقط ولم يتم شرحها بالتفصيل. من هذه الأبحاث أيضا بحث المؤرخ هالم Hulme وهو بعنوان: "Twelfth Century Great Towers-The Case for the Defence". وفي هذا البحث ركز هالم إهتمامه على وسائل الدفاع عن الحصون والقلاع، وتناول استراتيجية نقب الأسوار في نطاق ضيق للغاية لا تتناسب مع أهمية هذه الاستراتيجية في عمليات الحصار، فلم يفرد لها سوى صفحة واحدة في مقاله كله. أنظر: Hulme (R.), Op. Cit, p.219. وهناك بحث آخر قدمه المؤرخ ربيعي خميسي، الباحث في جامعة كارديف، وهو: Khamisy (R.), "Some Notes on Ayyubid and Mamluk Military Terms", Medieval Military History, Vol. XIII, 2015, pp.73-92. وفي هذا البحث تناول ربيعي مصطلحات عسكرية من زمن الأيوبيين والمماليك، منها مصطلح النقابون، وتناوله على الجانب الإسلامي فقط، وليس على الجانب الصليبي. وعلى هذا فهى ليست دراسة مستقلة عن النقب والنقابين في عصر الحروب الصليبية، وبخاصة الفترة محل الدراسة (١٠٩٧-١١٩٢م/٤٩٠-٥٨٨هـ).

(٧) من أمثلة هذه الكتب: Kennedy (H.), Crusader Castles, Cambridge University Press, 1994; Lepage (J. G. G.), Castles and Fortified Cities in Medieval Europe: An Illustrated History, North Carolina, 2002; Stokstad (M.), Medieval Castles, Westport: Greenwood Press, 2005. وفي هذه الكتب تم تناول استراتيجية النقب في سياق الحديث عن حصار هذه القلاع أوتلك أو تصميمها وطريقة بنائها. وأهم هذه الكتب كتاب كينيدي، والذي ذكر تقنية النقب في نحو صفحتين ونصف من كتابه، وذلك في عرضه للفصل الخامس من كتابه والذي جاء بعنوان "Siege Warfare in the Crusader Lands" أنظر عنه: Kennedy (H.), Op. Cit, pp.98-119.

(٨) من أمثلة هذه المعاجم: محمد عبد الله سالم العمايرة: المعجم العسكري المملوكي، عمان ٢٠١١م، ص٣٥٣؛ مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت ١٩٩٦م.

(٩) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون، م(٦)، القاهرة ١٣٠٠هـ، ص٤٥١٣؛ المعلم بطرس البستاني: قطر المحيط، بيروت ١٨٦٩م، ص٢٢١٧؛ المعجم الوجيز (صادر عن مجمع اللغة العربية)، القاهرة ١٩٩٠م، ص٦٢٩.

(10) The Anonymous Byzantine Treatise, p.37; فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، بيروت ١٩٩٠م، ص٢٠٥؛ أسامة بن منقذ: الإعتبار، تحقيق عبد الكريم الأشتر، بيروت ٢٠٠٣م، ص١٤٦؛ Oman (Ch.), A History of the Art of War, pp.133, 4; Gravett (Ch.), Op. Cit, p.45; Lepage (J.G.G.), Op. Cit, p.102; Stokstad (M.), Op. Cit, p.30.

(١١) عبد القادر الريحاوي: قلعة دمشق، دمشق ٢٠٠٨م، ص٢٥٠؛ نقلاً عن: مرفت عثمان محمد: التحصينات الحربية وأدوات القتال في العصر الأيوبي بمصر والشام زمن الحروب الصليبية، القاهرة ٢٠٠٩م، هامش (٤)، ص١٤٤.

(١٢) أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص١٤٦؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٣، ص٢٣٨؛ فولفغانغ مولر-فينر: القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة محمد وليد الجلاد، دمشق ١٩٨٤م، ص٢٣.

(١٣) ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٢، ص٣٩٤؛ الفتح بن علي البنداري: سنا البرق الشامي (٥٦٢هـ/١١٦٦م : ٥٨٣هـ/١١٨٧م)، من كتاب البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني، تحقيق فتحية النبراوي، القاهرة ١٩٧٩م، ص١٦٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، جـ١٠، بيروت ١٩٨٧م، ص٩٦. وفيما يخص استخدام الشحوم الحيوانية ضمن الحشوة فقد استخدمها الملك الإنجليزي جون John (١١٩٩-١٢١٦م/٥٩٥-٦١٣هـ) أثناء حصاره لقلعة روشستر Rochester عام ١٢١٥م، حيث جلب نحو ٤٠ خنزير لهذا الغرض، وذبحها وألقاها في النفق وسط أخشاب التعليق، فأشتعلت بقوة وانهار السور، ونجح الملك في اقتحام القلعة. أنظر: Roger of Wendover, The Flowers of History, trans. By Giles (T. A), Vol. 2, London, 1869, pp.120-3; France (J.), Western Warfare in the Age of the Crusades, 1000-1300, London: UCL Press, 1999, p.116; Seel (G. E.), King John: An Underrates King, New York, 2012, p.86; Brook (R.), Lewes and Evesham 1264-65: Simon de Montfort and the Baron’s War, New York, 2015, pp.29-31. وللمزيد عن ذلك الحصار أنظر: Brown (R.), Rochester Castle, London 1969; Coulson (Ch.), Castles in Medieval Society: Fortresses in

England, France and Ireland in the Central Middle Ages, Oxford University Press, 2003.

(14) Oman (Ch.), A History of the Art of War, p.133.

(١٥) عن حيوان الخلد أنظر: الدميري: حياة الحيوان الكبرى، تحقيق إبراهيم صالح، جـ٢، دمشق ٢٠٠٥م، ص٢٣٥؛ ومن المحتمل أن هذا الحيوان هو المسئول عن إنهيار سد مأرب، حيث أنه معروف بنشاطه تحت الأرض بحثاً عن طعامه من الديدان، فأحدث أنفاقاً عديدة تحت السد أدت في النهاية إلى إضعاف الأساسات تحته، فأنهار مع أول فيضان وصل إليه. أنظر: جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ٢، بغداد ١٩٩٣م، ص ص٢٥٨-٢٦٣؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ١، القاهرة ١٩٩٦م، ص٢٧؛ عبد الحميد حسين حمودة: تاريخ الدولة العربية الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٤م، ص٢١.

(16) Partington (J. R.), A History of Greek Fire and Gun Powder, Johns Hopkins University Press, 1999, p.171; أ.ت. أولمستر: الإمبراطورية الفارسية عبر التاريخ، ترجمة مجموعة من المترجمين، المجلد الأول، بيروت ٢٠١٢م، ص٢٣٢.

(17) Flavius Josephus, The Jewish War of Flavius Josephus, ed. by Traill (R.), London, 1851, pp.139-146; Partington (J. R.), Op. Cit, p.171.

(18) Vegetius, Epitome of Military Science, trans. by Milner (N. P.), Liverpool University Press, 1993, p.43.

(19) Hulme (R.), Op. Cit, p.219.

(٢٠) وليم النورماني أو وليم الفاتح ولد عام ١٠٢٧م/٤١٨هـ. وقد صار وليم دوق لنورماندي ثم ملكاً لإنجلترا بعد فتحها عام ١٠٦٦م/٤٥٨هـ، حيث أصبح لقبه وليم الأول (١٠٦٦-١٠٨٧م/٤٥٨-٤٨٠هـ). وهو نورماني الأصل، وابن غير شرعي لروبرت العظيم Rober The Great. وقد نادى وليم بحقه في وراثة عرش بريطانيا، وعندما لم يستطع تولي العرش الإنجليزي غزا إنجلترا عام ١٠٦٦م، واستطاع تولي العرش الإنجليزي، وثبت أقدام النورمان في إنجلترا. وفي عام ١٠٨٧م توفى وليم في أثناء حملة له في شمال فرنسا. أنظر: Hilliam (P.), William the Conqueror: First Norman King of England, New York, 2005, pp.15-24; Hurt (W.), "William the Conqueror", in Dictionary of National Biography, Vol.61, pp.293-301. وللمزيد عن وليم النورماني أنظر: Hagger (M.), William: King and Conqueror, New York, 2012; Abbott (J.), History of William the Conqueror, New York, 1876.

(٢١) مدينة إكستر وتسمى أيضاً إكزتر هى مدينة إنجليزية تقع جنوبي غرب إنجلترا. في العهد الروماني أمر الإمبراطور فسباسيان (٦٩-٧٩م) بإتخاذها قاعدة لأحد الفيالق الرومانية

الكبيرة. وفي العصور الوسطى أصبحت مركز ديني معروف. وقد تمردت إكستر على الملك وليم الأول، ولكنه استطاع إخضاعها بعد حصار دام ١٨ يوم عام ١٠٦٧م. وأهم ما يميزها كاتدرائيتها الشهيرة التي أسست في القرن الحادي عشر الميلادي. أنظر: Paxton (J.), The Penguin Encyclopedia of Places, London, 2000, p.309; Lapidge (M.) and Other, Anglo-Saxon England 25, Cambridge University Press, 1996, p.135. وللمزيد عن إكستر أنظر: Koweleski (M.), Local Markets and Regional Trade in Medieval Exter, Cambridge University Press, 1995; Conner (P. W.), Anglo-Saxon Exter: A Tenth-Century Culture History, (Woodbridge: The Boydell Press, 1993; Oliver (G.), The History of Exter, Exter, 1821.

(22) Ordiric Vitales, The Ecclesiastical History of England and Normandy, Vol. II, Ch. IV, London, 1854, pp.15,16; Oman (Ch.), A History of The Art of War, p.134; Hulme (R.), Op. Cit, p.219.

(23) Oman (Ch.), A History of The Art of War, p.549.

(24) Anonymous, The Deeds of the Franks and Other Jerusalem-Bound Pilgrims: The Earliest Chronicle of the First Crusade, ed. and trans. by Nirmal Dass, Lanham, MD: Rowman and Littlefield Publishers, 2011, note (19), p.129.

(25) Kennedy (H.), Op. Cit, P.105.

(26) Kennedy (H.), Op. Cit, P.103.

(٢٧) فولفغانغ: المرجع السابق، ص٢٣.

(٢٨) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧٩.

(٢٩) نيرسيس شنورهالي شاعر أرميني ولد عام ١١٠٢م/٤٩٥هـ في مقاطعة دلوك الواقعة بين خربوط وعنتاب. وكان من عائلة نبيلة تدعى بهلووني. صار يتيماً وهو في السنة الأولى من عمره، فقد مات والديه وكفله عمه الأرثوذكسي. أصبح كاهنا ثم صار رئيساً للكرسي الكاثوليكي في أرمينيا عام ١١٦٤م/٥٥٩هـ. له أشعار كثيرة وساهم مساهمات واضحة في الأدب الأرميني. وقد كتب مرثية شهيرة حزناً على سقوط الرها في يد عماد الدين زنكي عام ١١٤٤م/٥٣٨هـ. وتوفى نيرسيس عام ١١٧٣م/٥٦٩هـ. أنظر: The Crusades: An Encyclopedia, ed. By Alan V. Murray, Santa Barbara: ABC-CLIO, 2006, p.91; سوبوهي هايرابيديان: الشاعر نرسيس شنورهالي، مجلة الآداب الأجنية، عدد (١٢٣)، ٢٠٠٥م، ص ص ٢٣٩-١٤٦.؛ وللمزيد عنه أنظر: ستيف هلال عزيز: القديس نرسيس شنورهالي، مجلة الفكر المسيحي، عدد (٥٢٣-٥٢٤)، مارس-أبريل، ٢٠١٧.

(30) Saint Nersés Schnorhali, Eligie Sur La Prise d'Edesse, in R.H.C. Doc. Arm., T.I, Paris, 1869-1900, pp.223,224. والترجمة العربية لحولية القديس نيرسيس نقلاً عن

علية الجنزوري: إمارة الرها الصليبية، ملحق رقم (١٠)، ص٤٠١.

(٣١) قلعة الداروم أو قلعة الدارون تقع في الطريق من غزة إلى مصر. وهى تبعد عن البحر بمقدار ثلاثة أميال. وقد فتحها المسلمون عام ١٣هـ/٦٣٤م. وفي عام ١١٨٨م/٥٨٤هـ خربها صلاح الدين حتى لا يستفيد منها الصليبيين. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٢، بيروت ١٩٩٧م،ص٤٢٤؛ Sherrer (Th.), Castles and churches of the crusading kingdom, Oxford, 1967, pp.42,3, Kennedy (H.), Op. Cit, pp.31,103.

(٣٢) من أبرز هؤلاء المؤرخين ابن القلانسي، وأبو شامة المقدسي، وأسامة بن منقذ.

(٣٣) بطرس توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطية، الأسكندرية ١٩٩٨م، ص١١١.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك ثلاث حالات خرجت فيهم الدراسة عن نطاق بلاد الشام، واقتضت الضرورة إيرادهم لتفهم طبيعة النقب عند الجانب الصليبيين بشكل أشمل، وهم: حصار الصليبيين لنيقية عام ١٠٩٧م/٤٩٠هـ، وحصار الصليبيين بقيادة القائد الصليبي بوهيموند النورماني Bohemond of Norman لدورازو Durazzo البيزنطية عام ١١٠٧م/٥٠٠هـ، ثم حصار الصليبيين المشاركين في الحملة الصليبية الثانية لمدينة لشبونة Lisbon البرتغالية في غرب أوربا عام ١١٤٧م/٥٤٢هـ. وذلك في طريقهم إلى الشرق. وسيرد تفاصيل كل حالة من هذه الحالات الثلاث في مواضعها المختلفة من هذه الدراسة.

(34) Anonymous, The Deeds of the Franks and Other Jerusalem-Bound Pilgrims, p.37.

(٣٥) حدث هذا عند تناول فوشيه ووليم لحصار القائد المسلم بلك بن بهرام لقلعة خرتبرت عام ١١٢٤م/٥١٨هـ. أنظر: فوشيه: تاريخ الحملة، ص٢٠٥؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص٣٦٧.

(36) Kennedy (H.), Op. Cit, p.104.

(٣٧) كفر طاب بلدة من أعمال حلب، تقع إلى الشمال منها. وهى بالتحديد ما بين المعرة وحلب في منطقة شبه جافة، تعتمد بشكل كامل تقريباً على مياه الأمطار، والتي كانوا قديماً يجمعونها في صهاريج كبيرة. وسقطت كفر طاب في يد الصليبيين عام ١١٠٠م/٤٩٣هـ، فهجرها أهلها ثم عادوا إليها مرة أخرى بعد إسترداد عماد الدين زنكي لها عام ١١٣٥م/٥٢٩هـ. وهى تشتهر بإنتماء عدد كبير من الأدباء والشعراء إليها في ذلك العصر. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٤، ص٤٧٠؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، تحقيق رينود وماك كوكين، بيروت ١٨٥٠م، ص٢٦٣؛ ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، م(١)، بيروت

١٩٨٨م، ص١٤١؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص٢٣٣؛ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، م (٦)، جـ٢، دمشق ٢٠٠٠م، ص٢٧٣.

(٣٨) أسامة بن منقذ: الإعتبار، ص١٤٦.

(٣٩) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ص١٩٢، ١٩٣.

(40) Tami (A.), L’Art de la Guerre au Temps des Croisades (491/1098-589/1193), Thèse de doctorat, dirs. Sobhi Boustani et Samaha Koury, University Montaigne (2012), p.519.

(٤١) أنظر هامش رقم (٣٨).

(٤٢) أنظر هامش رقم (٣٩).

(٤٣) بلدوين البويوني فارس صليبي شارك في الحملة الصليبية الأولى، وتولى حكم كونتية الرها من عام ١٠٩٧م/٤٩٠هـ حتى عام ١١٠٠م/٤٩٣هـ. صم صار ملكاً على مملكة بيت المقدس من عام ١١٠٠م/٤٩٣هـ حتى عام ١١١٨م/٥١٢هـ. وقد قام بدور بارز في تثبيت أركان مملكة بيت المقدس بعدد من الاصلاحات الداخية والتوسعات الخارجية. كما وطد أركان الحكم في إمارتي أنطاكية والرها الصليبيتين. أنظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، جـ١، القاهرة ١٩٩٢م، ص ص٣٥٥-٣٦١؛ هنادي السيد محمود: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨م/٤٩٤-٥١٢هـ)، القاهرة ٢٠٠٨م، ص ص٣٥-٤٠.

(٤٤) أسامة بن منقذ: الإعتبار، ص١٤٧.

(٤٥) عسقلان مدينة بالشام من أعمال فلسطين. تقع على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين. ويقال لها عروس الشام. افتتحها معاوية بن أبي سفيان في خلافة عمر بن الخطاب. وظلت في يد المسلمين حتى سقطت في يد الصليبيين عام ١١٥٣م/٥٤٨هـ. وظلت في أيديهم حتى استردها صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٤، ص١٢٢؛ ابن سباهي زاده: أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق المهدي عيد الرواضية، بيروت ٢٠٠٦م، ص٤٧٠. وللمزيد عن عسقلان أنظر: عارف العارف: الموجز في تاريخ عسقلان، القدس ١٩٤٣م.

(٤٦) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم شمس الدين، جـ٤، بيروت ٢٠٠٢م، ص١٩٣؛ ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٩٤م، ص٢٨٠؛ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد)، ترجمة حسن حبشي، جـ٢، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ص٩٥، ٩٦؛ ابن واصل: مفرج

الكروب، جـ٢، ص٣٦٩؛ ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، ص ص٢٠٧، ٢٠٨.

(٤٧) عن ذلك أنظر في آخر هذه الدراسة قائمة بعمليات الحصار التي استخدمت فيها إستراتيجية النقب طوال الفترة الزمنية محل الدراسة.

(٤٨) مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ٢، ص ص١٧٩، ٢٢٨؛ أبو شامة: الروضتين، جـ٤، ص١٧٦؛ ابن شداد: النوادر، ص ص٢٩٥، ٣٣٠. وللمزيد عن هذا الحصار أنظر: Crompton (S.), The Third Crusade: Richard the Lionhearted Vs. Saladin, Chelsea house, 2003; Nicolle (D.), The Third Crusade 1191: Richard the Lionheart, Saladin and the Struggle for Jerusalem, Bloomburry, 2005.

(49) Oman (Ch.), A History of the Art of War, p.549.

(٥٠) بلك بن بهرام أمير تركي مسلم تولى حكم سروج عام ١٠٩٦م/٤٨٩هـ، ثم أصبح أتابك واستولى على منطقة خرتبرت وإتخذها مقراً له. وفيما بعد أصبح سيداً على حلب، وشرع في جهاد الصليبيين. وحاصر الرها عام ١١٢٢م/٥١٦هـ، ولكنه لم يتمكن من إسقاطها. تاريخ ميلاد بلك غير معروف، أما تاريخ وفاته فهو ١١٢٤م/٥١٨هـ، حيث قتل في هذا العام. أنظر: ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص ص٢٨٥-٢٨٨؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص ص ٢١٠، ٢٢١، ٢٢٧؛ عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام (٤٦٥-٨١٢هـ/١٠٧٢-١٤٠٩م)، بيروت ١٩٨٠م، ص ص١٦٣-٢٧٦؛ محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب، القاهرة ٢٠١٥م، ص٥٥.

(٥١) فوشيه: تاريخ الحملة، هامش رقم (١٠٧)، ص٢٤٨؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص٣٦٧؛ مسفر بن سالم عريج الغامدي: الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر (٤٩١-٥٦٩هـ/١٠٩٧-١١٧٣م)، جدة ١٩٨٦م، ص١٧١.

(٥٢) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص367.

(53) Kennedy (H.), Op. Cit, p.103; سميل: المرجع السابق، ص٢٩٩ .

(٥٤) سميل: المرجع السابق، ص ٣١٢.

(٥٥) كمال بن مارس: أساليب القتال الإسلامية الصليبية: عصر الحروب الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، م(٤٦)، ٢٠٠٨/٢٠٠٩م، ص١٠٠.

(٥٦) عماد الدين زنكي أتابك الموصل وهو ابن آقسقر ابن عبدالله. صار أتابكاً للموصل عام ١١٢٧م/٥٢١هـ. وشرع، بعد توليه الأتابكية، في جهاد الصليبيين في معارك عديدة. وتوج جهوده في نضال الصليبيين باسترداد إمارة الرها منهم عام ١١٤٢م/٥٣٨هـ، ومثل استرداد الرها أول انتصار فعلي للجبهة الإسلامية المقاومة للوجود الصليبي في الشام. والواقع أن عماد

الدين ظل في جهاده للصلبيين حتى اغتيل بسبب غدر أحد خدمه عام ١١٤٦م/٥٤٠هـ. أنظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص ص ٣٢٧-٣٢٩، ابن الأثير: الباهر، ص ص ٢٤-٧٥؛

Gibb (H.), "Zengi and the Fall of Edessa" , in A History of the Crusades, ed. by Setton (K.), vol. I, Wisconsin , 1969 , pp. 449 – 462.

وللمزيد عنه انظر : Alptekin (C.), The Reign of Zangi 511–541/1127–1146), Ataturk University Eizurum, 1978؛ عماد الدين خليل: عماد الدين زنكي، بيروت ١٩٨٢م؛ محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص ص ١٠٧-١٠٩..

(٥٧) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٧٩؛ ابن الأثير: الباهر، ص ص٦٧-٦٩؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ص ص٣٢٤، ٣٢٥؛ Gibb (H.), "Zengi and the Fall of Edessa, 1144", pp.459-462; علية الجنزوري: إمارة الرها الصليبية، ص ص٣٠٨-٣١٠؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام (٥٢١-٦٦٠هـ/١١٢٧-١٢٣٣م)، بيروت ٢٠١٠م، ص ص١٥٠-١٥٢.

(58) Saint Nersés Schnorhali, Op. Cit, pp.223,4.

(59) Roger of Wendover, The Flowers of History, Vol. 2, p.83; مجهول: الحملة الصليبية الثالثة، جـ٢، ص ص٢٨، ٢٩؛ Biel (T. L.), The Crusaders, California, 1995, p.99; Reston (J.), Warriors of God: Richard the Lionheart and Saladin in the Third Crusade, New York, 2001, pp.174-176.

(60) Tami (A.), Op. Cit, pp.519-22.

(61) Kennedy (H.), Op. Cit, pp.99-101.

(٦٢) الجدير بالذكر أن الطبعة الأولى من كتاب سميل قد صدرت عام ١٩٦٢م. والترجمة العربية لها ظهرت عام ١٩٨٥م. عنها أنظر: سميل: فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر، ترجمة العميد الركن محمد فؤاد الجلاد، دمشق ١٩٨٥م.

(63) Gravett (Ch.), Op. Cit, p.45.

(64) Hulme (R.), Op. Cit, p.219.

(٦٥) حصن كوكب الهوى أو Belvoir ويسمى أيضاً حصن بيت الأحزان يقع على الجبل المطل على مدينة طبرية، جنوبي بحيرة طبرية وشمالي بيسان. يرتفع عن سطح البحر ويحيط به وادي البيرة. كان هذا الحصن مخصصاً لطائفة من الفرسان الإسبتارية. وقد وصفه الرحالة ثيودريك Theoderic بالقوة والضخامة عام ١١٦٩م/٥٦٤هـ، كما أشاد بهذا الحصن المؤرخ

وليم الصوري عام ١١٨٢م/٥٧٨هـ. واسترد صلاح الدين هذا الحصن من الصليبيين في ٥ ينـاير ١١٨٩م/١٧ ذي القعـدة ٥٨٤هــ. أنظـر: يـاقوت الحمـوي: معجـم البلـدان، جــ٤، ص٤٩٤؛ Ben-Dov (M.), "Belvoir(Kokav Ha-Yarden)", in the New Encyclopedia of Archeological Ecavations in the Holy Land, ed. By Ephraim Stern, Vol. I, Jerusalem, 1993, pp.182-186; Kennedy (H.), Op. Cit, p.58; The Crusades: An Encyclopedia, pp.161,2.

(66) Kennedy (H.), Op. Cit, p.101. وعن إسترداد حصن كوكب الهوى أنظر: العماد الكاتب الأصفهاني: حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس، وهو الكتاب المسمى الفتح القسي في الفتح القدسي، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ص١٤٦-١٤٨؛ ابن شداد: النوادر، ص١٥٣؛ أبو شامة: الروضتين، جـ٤، ص٣٠؛ Gibb (H.), "The Rise of Saladin (1169-1189)", in Setton, pp.586,7.

(٦٧) بلدوين الثاني هو بلدوين بن هيو كونت راتيل Hugh Rathel. إنضم إلى قادة الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٦م/٤٨٩هـ. وقد أصبح بلدوين كونتاً للرها عام ١١٠٠م/٤٩٣هـ، ثم صار ملكاً لمملكة بيت المقدس الصليبية عام ١١١٨م/٥١٢هـ. وفي عام ١١٠٤م/٤٩٨هـ وقع في أسر حاكم الموصل أثناء حصار حران، وظل في الأسر ٤ أعوامز وتولى حماية أنطاكية بعد مقتل أميرها روجر Roger في معركة ساحة الدم عام ١١١٩م/٥١٣هـ. وقام بحملات مهمة ضد دمشق ما بين عامي ١١٢٦م/٥٢٠هـ و١١٢٩م/٥٢٣هـ. وقد توفى بلدوين في عام ١١٣١م/٥٢٥هــ. أنظـر: ولـيم الصـوري: الحـروب الصـليبية، جـ٢، ص ص٣٣٥-٣٤٢؛ Mager (H. E.), "The Succession to Baldwin II of Jerusalem, English Impact on the East", D. O. P., 39, 1985, pp.139-147; Nicholson (R. L.), "The Growth of the Latin States, 1118-1144", in Setton, Vol. I, pp. 410-447. وللمزيد عن بلدوين الثاني أنظر: صفاء عثمان: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثاني ١١١٨-١١٣١م/٥١٢-٥٢٥هـ، القاهرة ٢٠٠٨م؛ محمد مؤنس عوض:معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٣٦٦.

(٦٨) خرتبرت أو خربوط وتسمى بالإنجليزية Harput أو Kharput، وهو إسم أرميني. كما يعرف أيضاً بحصن زياد. ويقع تحديداً في أقصى ديار بكر بالقرب من نهر الفرات، وبينه وبين ملطية مسيرة يومين. وحديثاً يقع هذا الحصن في الجزء الأوسط من شرقي تركيا. وكان الأرمن قد إتخذوا هذا الموقع عاصمة لهم في القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري. وفي عام ١١١٢م/٥٠٦هـ استولى عليه الأراتقة، ثم أخذه الصليبيون بعد فترة، وظل في أيديهم حتى إسترده بلك بن بهرام عام ١١٢٣م/٥١٧هـ. وفي عام ١٢٣٤م/٦٣١هـ سقط في أيدي سلاجقة

الروم. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٢، ص٣٥٥؛ Canby (C.), Encyclopedia of Historic Places, New York, 2007, p.522; Ellenblum (R.), Crusader Castles and Modern Histories, Cambridge University Press, 2007, p.220; Kennedy, (H.), Op. Cit, pp.104, 113; فتحي سالم حميدي اللهيبي: دراسات في علاقة الأرمن والكرج بالقوى الإسلامية في العصر العباسي، بيروت ٢٠١٢م، ص ص١٧٣-١٧٥.

(٦٩) فوشيه: تاريخ الحملة، ص٢٠٥.

(٧٠) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص٣٦٧.

(71) Hulme (R.), Op. Cit, p.219.

(٧٢) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٩.

(٧٣) أنظر الشكل رقم (١). التعديل والترجمة في الرسم من إجتهاد الباحث بالإعتماد على المراجع الآتية: Gravett (Ch.), Op. Cit, p.45; Dougherty (M. J.), Weapons and Fighting Techniques of the Medieval Warrior 1000-1500 AD, New York, 2008, p.197.

(74) Gravett (Ch.), Op. Cit, p.45; Hulme (R.), Op. Cit, p.219.

(75) Dougherty (M. J.), Op. Cit, p.197.

(76) Mercur (J.), Attack of the Fortified Places: Including Siege-Workers, Mining and Demolitions, New York, 1844, pp.169-184; Gravett (Ch.), Op. Cit, p.45; Bradbury (J.), The Medieval Siege, Woodbridge, 1992, pp.270-73; Hulme (R.), Op. Cit, p.219..

(٧٧) أنظر الشكل رقم (2). التعديل والترجمة في الرسم من إجتهاد الباحث بالإعتماد على المراجع الآتية: Gravett (Ch.), Op. Cit, p.45; Dougherty (M. J.), Op. Cit, p.197.

(78) Gravett (Ch.), Op. Cit, p.45; Hulme (R.), Op. Cit, p.219; Dougherty (M. J.), Op. Cit, p.197.

(٧٩) أنظر الشكل رقم (3). التعديل والترجمة في الرسم من إجتهاد الباحث بالإعتماد على المراجع الآتية: Gravett (Ch.), Op. Cit, p.45; Dougherty (M. J.), Op. Cit, p.197.

(80) Gravett (Ch.), Op. Cit, p.45; Dougherty (M. J.), Op. Cit, p.197.

(81) Anna Comnena, The Alexiad of Anna Comnena, ed. And trans. by Sewter (E. R. A.), Harmondsworth, 1969, p.335. وعن حصار الصليبيين لنيقية أنظر: Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, History of the Journey to Jerusalem, ed. and trans. By. Susan B. Edgington, II. 24-31, Oxford Medieval Texts 2007, pp.101-115; مجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، القاهرة

١٩٥٨م، ص ص٣٣-٣٧؛ فوشيه: تاريخ الحملة، ص ص٤٦-٤٩؛ ريموندا جيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطية، القاهرة ١٩٨٩م، ص ص٧٧-٨٤؛ Runciman (S), "The First Crusade: Constantinople to Antioch', in Setton, Vol.I, pp.280-307.

(٨٢) النار الإغريقية هى سائل يتكون من خليط من الدهون والراتنجات والكبريت. وهذا السائل سريع الإشتعال، خاصة عندما يتعرض للهواء. وكان يتم إطلاقه، من خلال إسطوانات نحاسية، في شكل كرات مشتعلة أو لفائف من الكتان المشبع بالنفط. ثم يلقى على السفن أو الجنود أو المنازل أو الأسوار أو من فوق أسوار الحصون والقلاع. إستخدم الإغريق هذه النار قديماً، ولكن يرجح أن أصولها شرقية. أنظر: ابن أرنبغا الزردكاش: الأنيق في المناجيق، تحقيق إحسان هندي، أبو ظبي ٢٠١٣م، هامش رقم (٤)، ص ١٣؛ Partington (J. R.), Op. Cit, pp.110-115, 310-317; Devries (K. R.) and Other, Medieval Military Technology, University of Toronto Press, 2012, p.130; مرفت عثمان: المرجع السابق، ص ص٢٨٥-٢٩١؛ عودة الشرعة: المجتمع الشامي في العصر المملوكي (٦١٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، عمان ٢٠١٩م، ص٥٨. وللمزيد عن النار الإغريقية أنظر: Taplin (O.), Greek Fire, Cape, 1989; Mayor (A.), Greek Fire, Poison Arrows and Scorpion Bombs, New York, 2009.

(83) Anna Comnena, The Alexiad, 11, p.335.

(84) Prouteau (N.), Un patrimoine commun en Méditerranée: Fortifications de l'époque des Croisades, Icomos, 2008, 81.

(٨٥) ذكر الزنبيل، بشكل خاص، في رواية تقي الدين عمر. أنظر: تقي الدين عمر: مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، القاهرة د.ت، ص٢٨.

(٨٦) عن حصار المسلمين لكفر طاب أنظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ص١٩٢، ١٩٣؛ أسامة بن منقذ: الإعتبار، ص١٤٧؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحاتة، جـ٥، بيروت ٢٠٠٠م، ص ص٤٨-٥٢؛ Fink (H. S.), "The Foundation of the Latin States, 1099-1118", in Setton, Vol.I, pp.368-409.

(87) The Anonymous Byzantine Treatise on Strategy, p.37; Prouteau (N.), Op. Cit, p68.

(٨٨) الفتح البنداري: سنا البرق الشامي، ص١٦٨.

(٨٩) أبو شامة: الروضتين، جـ٣، ص٢٥؛ الفتح البنداري: سنا البرق الشامي، ص١٦٨.

(٩٠) ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، ص٩٦.

(٩١) إستخدم الملك الإنجليزي جون John (١١٩٩-١٢١٦م/٥٩٥-٦١٣هـ) شحوم ودهون الحيوانات أثناء حصاره لقلعة روشستر Rochester عام ١٢١٥م/٦١٢هـ. فقد أمر جون نقابيه بنقب سور القلعة، واحتاجوا إلى مواد تساعد على إشتعال أخشاب التعليق، فأمر بجلب نحو (٤٠) خنزيرة لهذا الغرض، شريطة أن تكون الخنازير كثيرة الدهون ولا تصلح لطعام الإنسان، وأمر بذبحها وإلقائها داخل نفق النقب. فأشتعلت بقوة كبيرة ألتهمت معها أخشاب التعليق الكبيرة، وانهار سور القلعة، وإستردها من الثوار. وكان لنقب السور دور أساسي في هذا الإنتصار الذي أحرزه الملك الإنجليزي. عن تفاصيل هذا الحصار أنظر هامش رقم (١٣) من هذه الدراسة.

(٩٢) لجأ بعض النقابين الغربيين الأقل شفقة بالحيوان إلى ربط شعلة من اللهب في الخنازير الحية، ثم ساقوا هذه الخنازير داخل النفق بهدف إشعال الحشوة. فكانت الخنازير تنطلق مشتعلة داخل النفق حتى تصل إلى الحشوة ويمنعونهم من الخروج للخارج حتى تحترق أجسادهم وتزيد من إشتعال الحشوة وخشب التعليق. أنظر Stokstad (M.), Op. Cit, p.30.

(٩٣) ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، ص٩٦.

(٩٤) المنجنيقات من أشهر آلات الحصار عند المسلمين والصليبيين. وهى كلمة معربة من الفارسية (من جيه نيك) وهى تعني الإرتفاع إلى أعلى. وتجمع على مناجيق ومجانيق ومنجنيقات. وغير معروف على وجه التحديد متى بدأ إستخدام المنجنيق. أما عن تركيبه في أبسط صورة فهو يصنع من الخشب، ويعمل على مبدأ الرافعة. وقد استخدم المنجنيق لقذف كثير من أنواع المقذوفات من أحجار وسهام وقوارير نفطية ومقذوفات نارية وغيرها. وهناك أنواع من المناجيق منها الفارسي والتركي والرومي. كما تصنف المنجنيقات تبعاً لنوع المقذوف، فتسمى مناجيق قذف الحجارة ومناجيق قذف السهام ومناجيق قذف النفط ومناجيق قذف القنابل ومناجيق قذف الأفاعي والعقارب ومناجيق قذف الرمم والقاذورات. أنظر: ابن أرنبغا الزردكاش: الأنيق في المناجيق، ص ص١٩-٢٥؛ Barcio (B.), and other, Catapult Design, Construction and Competition with the Projectile Throwing Engines of the Ancients, RTL Industries, 2006, pp.48-64; مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص٤١٠؛ محمد عبد الله سالم العمايرة: المعجم العسكري المملوكي، ص٣١٣. وللمزيد عن المنجنيق، أنظر: Tracey (R.), The Catapult: A History, Yardley, PA: Westholme, 2007.

(٩٥) العرادات مفردها عرادة، وهى من آلات الحصار، وتشبه المنجنيق، إلا أنها أصغر منه حجماً. وتستعمل في رمي الأحجار إلى مسافات بعيدة وعالية تتجاوز أسوار القلاع. واستخدمت بشكل

خاص في عمليات الدفاع عن الحصون والقلاع. كما يمكن للعرادة أن تقذف سهاماً أيضاً. وهى أشبه شئ بمدافع الهاون في العصر الحديث. أنظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب: المرجع السابق، ص٣١٩؛ عبد الرؤوف قصي فالح: الهندسة العسكرية في الفتوحات الإسلامية، ١١هـ/٦٣٢م-١٣٢هـ/٧٤٩م، بغداد ١٩٩٧م، ص٧٤؛ محمد عبد الله سالم العمايرة: المرجع السابق، ص٢١١.

(٩٦) أبو شامة: الروضتين، جـ٤، ص ص١٦٢، ١٦٣؛ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ٢، ص ٩٦؛ ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٢، ص ص٣٦٥-٣٦٩؛ ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، ص ص٢٠٧-٢١٠؛ Hardwicke (M. N.), "The Crusader States, 1192-1243", in Setton, Vol.II, pp.522-556; Khamisy (R.), Op. Cit, p.78.

(٩٧) عرقة بلدة شرقي طرابلس، بينهما أربع فراسخ (١٢ ميل). وهى تقع في نهاية أعمال دمشق عند سفح جبل. بينها وبين البحر ما يقرب من ميل. وهى تتحكم في الطرق من طرابلس إلى اللاذقية وحمص. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٤، ص١٠٩. وللمزيد عن عرقة أنظر: نافذ الأحمر: عرقة: مدينة عكار التاريخية، بيروت ٢٠٠٣م، ص ص١٠-٥٠. وعن حصار الصليبيين لعرقة عام ١٠٩٨م/٤٩٢هـ أنظر: Albert of Aachen, Historia, V. 31,32, pp.377-79; مجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص ص١١٠-١١٢؛ فوشيه: تاريخ الحملة، ص ص٦٧، ٦٨؛ بطرس توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطية، الأسكندرية ١٩٩٨م، ص٢٩٠؛ Kennedy, (H.), Op. Cit, pp.20, 67.

(98) Guibert of Nogent, The Deeds of God Through the Franks: A Translation of Guibert de Nogent Gesta Der Per Franks, trans. By Robert Levine, England: The Boydell Press, 1997, p.122.

(٩٩) وهناك دليل على دور النقابين في أوقات السلم. ففي عام ١٢٦٨م/٦٦٦هـ أرسل قاضي القدس برسالة إلى السلطان الظاهر بيبرس (١٢٦٠-١٢٧٧م/٦٥٨-٦٧٦هـ) تقول بأن الماء قد جف من بئر السقاية، وحل العطش بالناس. فنزل رجل ذو معرفة وخبرة إلى قاع البئر، فشاهد قناة مسدودة من زمن نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥-٥٦٢ ق.م) عندما هدم أسوار بيت المقدس عام ٥٩٨ ق.م. فلجأ السلطان إلى النقابين لفتح هذه القناة المسدودة ففتحوها، حيث ساروا مشياً تحت الأرض حتى وجدوا باباً ففتحوه، فخرج الماء عليهم وكاد يغرقهم. أنظر: ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٩٧٦م، ص٢٨٨. وعن نبوخذ نصر وهدم بيت المقدس أنظر: نبيلة محمد عبد الحليم: معالم

العصر التاريخي في العراق القديم، القاهرة ١٩٨٣م، ص ص٢٣٣-٢٣٦؛ محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم، الأسكندرية ١٩٩٠م، ص ص٤٤٠-٤٥٠.

(١٠٠) أبو شامة: الروضتين، جـ٣، ص٢٥؛ الفتح البنداري: سنا البرق الشامي، ص١٦٩.

(101) Nolan (C.J.), The Age of Wars of Religion (1000-1650): An Encyclopedia of Global Warfare and Civilization, 2Vols, London, 2006, p.782.

(١٠٢) طغتكين هو ظهير الدين طغتكين أتابك دقاق بن تتش بن ملكشاه، حاكم دمشق (١٠٩٣-١١٠٤م/٤٨٦-٤٩٧هـ). وقد كان طغتكين يحكم دمشق حكماً ذاتياً، ويدين اسمياً بالولاء للخليفة العباسي وللسلطان السلجوقي في العراق. وبعد وفاة الأتابك دقاق عام ١١٠٤م/٤٩٧هـ استقل طغتكين بحكم دمشق. ودخل في نزاعات مع جيرانه الصليبيين واستنجد بشرف الدين أتابك الموصل. وتوفي طغتكين عام ١١٢٨م/٥٢٢هـ. أنظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، م٢، ص ص٥٢٣-٥٢٥؛ شاكر مصطفى: الأسرة البورية، مجلة كلية الآداب –جامعة الكويت، العدد (١)، ١٩٧٢م، ص ص٣٥-٩٥. وللمزيد عن طغتكين أنظر: عصام سخنيني: طغتكين أتابك دمشق (١٠٩٥-١١٢٨م/٤٤٨-٥٢٢هـ)، القاهرة ١٩٩٩م.

(١٠٣) كمشتكين الخادم هو سعد الدين كمشتكين الخادم مولى بيت عماد الدين زنكي، وخادم ابنه نور الدين محمود، ثم وصياً على الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود بعد وفاته. ولاه نور الدين قلعة الموصل نيابة عنه، فلما مات نور الدين هرب إلى حلب، وخدم شمس الدين ابن الداية. ثم جاء إلى دمشق، ثم توجه منها إلى حلب مصطحباً معه الصالح إسماعيل. وفيما بعد أقطعه الصالح إسماعيل نفسه بلدة حارم، فأقام بها ثم تمرد عليه. وينسب له بناء خانقاه في حلب، ويقال أنه هو الذي أطلق سراح القائد الصليبية أرناط بعد سجنه على يد نور الدين محمود. أنظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٦؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى زكريا عبادة، جـ١، ق٢، دمشق ١٩٧٨م، ص ص٦٠-٦٢؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق محمد بركات وآخرون، جـ٢١، دمشق ٢٠١٣م، ص٢٥٢؛ محمود ياسين: الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة، ٥٦٤هـ-٦٤٨هـ/١١٦٨م-١٢٥٠م، بغداد ١٩٨١م، ص ص١٠٧، ٢٣٣.

(١٠٤) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٦؛ ابن الأثير: الباهر، ص ص١٦٢، ١٧٨.

(١٠٥) بانياس بلدة صغيرة من أعمال دمشق. وهي ذات أشجار وأنهار. وهي بجوار جبل الثلج، كما يحدها من الغرب البحر المتوسط، ومن الشمال اللاذقية، ومن الشرق جبال الساحل، أما من الجنوب فتلتحم بها السهول الخصبة. أنظر: ابن سباهي زاده: أوضح المسالك إلى معرفة

البلدان والممالك، تحقيق المهدي عيد الرواضية، بيروت ٢٠٠٦م، ص١٩٣؛ مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جـ١، ص ص٦٣، ٦٤.

(١٠٦) شمس الملوك أبو الفتح إسماعيل بن تاج الملوك بوري بن طغتكين. حكم دمشق بعد أبيه، وكان شجاعاً كثير الإغارة على الصليبيين، وأخذ منهم عدة حصون، وكانوا يهابونه ويخافونه. دخل في نزاعات مع أخيه صاحب بعلبك، وفيما بعد صار ظالماً ومصادراً لممتلكات الناس. وهدد في وقت ما بتسليم دمشق للصليبيين عندما علم بأن عماد الدين زنكي قادم لحصاره. وبلغ منه الظلم حتى أن والدته دبرت قتله وقتل عام ١١٣٥م/٥٢٩هـ. أنظر: سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، جـ٢٠، ص ص٢٥٣، ٢٥٤، ٢٧٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق حسين الأسد، جـ١٩، بيروت ١٩٩٦م، ٥٧٥؛ ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، جـ٦، دمشق ١٩٨٨م، ص١٤٨.

(١٠٧) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٣٧؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص٢٦٨؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٣، ص١٢٢؛ مصطفى الحياري: مدينة بانياس في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، مجلة دراسات، م(١٢)، العدد (١٣)، ١٩٨٦م، ص ص١٦١-١٨٨.

(١٠٨) ابن شداد: النوادر، ص٣٣٠؛ العماد الكاتب: حروب صلاح الدين، ص٣١٢؛ مجهول: ذيل وليم الصوري، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ٢٠٠٢م، ص ص٢٢٨، ٢٢٩؛ ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٢، ص٣٩٤؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، جـ٢٢، ص٨.

(١٠٩) أنور محمود زناتي: معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، القاهرة ٢٠١١م، ص٥٦.

(١١٠) الكباش مفردها كبش، وتسمى أيضاً بإسم "رأس الكبش". وهى من آلات الحصار، أطلق عليها العرب إسم "دبابة"، ولها رأس ضخم وقرنان، يدفعها الجنود نحو الأسوار لنقبها ثم تهديمها، أو حتى إحداث ثقب فيها. أنظر: Oman (Ch.), A History of the Art of War, p.132; مصطفى عبد الكريم الخطيب: المرجع السابق، ص٣٦٢؛ محمد عبد الله سالم العمايرة: المرجع السابق، ص ص١٣٦، ١٣٧.

(111) Oman (Ch.), The Art of War in the Middle Ages, p.57.

(١١٢) دورازو Durazzo أو Durrës أو Dyrrachion مدينة تقع حالياً في ألبانيا Albania. وقديماً كانت مدينة حدودية وقاعدة بحرية بيزنطية على الشاطئ الشرقي للبحر الأدرياتيكي. كما كانت هدفاً للصليبيين القادمين من الغرب. وفي القرن التاسع كانت محطة رئيسية على الطريق

المعروف بإسم "فيا إجناتيا Via Egnatia". وحافظت دورازو على حكم البيزنطيين في جنوب البلقان وجنوبي إيطاليا. وفي عام ١٠٨١/٤٧٤هـ تعرضت لهجوم النورمان بقيادة روبرت جويسكارد Robert Guiscard. وفي عام ١٠٨٥م/٤٧٨هـ سقطت في يد البنادقة. أما في عام ١١٠٧م/٥٠١هـ فقد تعرضت لهجوم النورمان مرة أخرى. أما عام ١٢٠٥م/٦٠١هـ فقد سقطت في يد البنادقة مرة أخرى. وفي عام ١٢١٣م/٦١٠هـ إستردها البيزنطيون. أنظر:
Anonymous: A Physical Description of Albania and the Defence Ulcinj – 1570, in Early Albania: A Reader of Historical Texts, 11th-17th Enturies, ed. By Robert Elsie, Wiesbaden: Harrassowitz, 2003, p.60; Paxton (J.), Op. Cit, p.274; The Crusades: An Encyclopedia, p.370.

(113) Anna Comnena, The Alexiad, XIII, pp.401, 402; Albert of Aachen, Historia, X:40-46, pp.755-61; The Anonymous Byzantine Treatise, p.38; Ordiric Vitales, The Ecclesiastical History, Vo.III, XI, pp387-90; Stokstad (M.), Op. Cit, p.131.

(١١٤) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧٩؛ ابن الأثير: الباهر، ص ص٦٦-٧٠؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص ص٢٣٥-٢٣٨؛ El-Azhari (T.), Zengi and the Muslim Response to the Crusades: The politics of Jihad, New York, 2016, pp.91-105؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ الزنكيين، ص ص١٤٧-١٥٥.

(١١٥) أبو شامة: الروضتين، جـ٣، ص٢١٨؛ الفتح البنداري: سنا البرق الشامي، ص٣١١.

(١١٦) عن حصار زنكي للرها، أنظر هامش رقم (١).

(١١٧) أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص١٤٧.

(118) Oman (Ch.), A History of the Art of War, p.134.

(١١٩) أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص١٤٦.

(١٢٠) لشبونة عاصمة البرتغال الحالية، وهى مدينة تطل على سواحل المحيط الأطلنطي. وخضعت لحكم الرومان في عهد يوليوس قيصر Julius Caesar. ثم تولت حكمها سلسلة من القبائل الجرمانية بداية من القرن الخامس الميلادي. وفي القرن الثامن الميلادي/الثاني الهجري افتتحها المسلمون، وظلت في أيديهم حتى عام ١١٤٧م/٥٤٢هـ، حيث أنه في هذه العام سقطت في يد الملك البرتغالي ألفونسو الأول (١١٣٩-١١٨٥م/٥٣٣-٥٨١هـ) بمساعدة صليبيو الحملة الصليبية الثانية وهم في طريقهم من غرب أوربا إلى الشرق.أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٥، ص١٦؛ Forey (A.), "The Siege of Lisbon and the Second Crusade", Portuguese Studies, Vol. 20 (2004), pp.1-13; Paxton (J.), Op. Cit, p.527; The Crusade: An Encyclopedia, p.729.

(١٢١) عن تفاصيل حصار لشبونة، أنظر: Anonymous, The Siege of Lisbon (The

Conquest of Lisbon, 1147), trans. From latin by Charles W. David, in Medieval Iberia, ed. By Olivia Remie Constable, University of Pennsylvania Press, 1997, pp.133-6; Forey (A.), Op. Cit, pp.1-13; Meyer (B.), El Papel de los Cruzados, alemanes en la reconquesta de la Peninsula Ibérica en los Siglos XIIY XIII", En la España medieval, 33 (2000), pp.42-8; Constable (G.), "The Second Crusade as seen by the Contemporaries", in Crusaders and Crusading in the Twelfth Centuries, ed. By Giles Constable, Farnham, 2008, pp.229-300.

(١٢٢) عن حصار صلاح الدين لحصن كوكب الهوى وإسترداده أنظر هامش رقم (٦٦).

(١٢٣) كمال بن مارس: المرجع السابق، ص١٠٠.

(١٢٤) أنظر هامش رقم (٧٣)، وشكل رقم (١).

(١٢٥) أنظر هامش رقم (٧٧)، وشكل رقم (٢).

(١٢٦) أعزاز: مدينة في شمالي سوريا، تقع في منطقة سهلية تسمى سها أعزاز. وذكرها ياقوت الحموي باسم عزاز. ولقد وقعت في يد الصليبيين ثم حررها صلاح الدين عام ١١٧٥م/٥٧١هـ. وحديثاً اصبحت أعزاز مدينة كبيرة في شمالي سوريا، ويبلغ عدد سكانها نحو ٧٥٠٠٠ نسمة. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، م٤، ص١١٨.

(١٢٧) أبو شامة: الروضتين، جـ٢، ص٢٦٧؛ ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٢، ص٤٥؛ ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، ص٧٦.

(128) Roger of Wendover, The Flowers of History, Vol.II, pp.82,3; مجهول: الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد)، ص ص٢٨، ٢٩؛ مجهول: ذيل وليم الصوري، ص ص٢٠٤، ٢٠٥؛ أبو شامة: الروضتين، جـ٤، ص١٤٦؛ ابن شداد: النوادر، ص ص٢٤٥، ٢٤٦؛ ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٢، ص ص٣٥٥، ٣٥٦.

(129) The Anonymous Byzantine Treatise on Strategy, p.41; Lepage (J.G.G.), Op. Cit, p.102; Gaier (C.), Armes et Combats dans l'univers Médiéval, Vol.1, Bruxelles, 2004, p.81.

(130) Campbell (E. S. N.), A Dictionary of the Military Science, Containing an Explanation of the Principal Terms used in Mathematics, Artillery; and Forification, London, 1830, p.162; Rance (Ph.), "The Fulcum, the Late Roman and Byzantine Testudo: the Germanization of Roman Infantry Tactics?", Greek, Roman, and Byzantine Studies, 40 (1970), pp.265-326; Nolan (C. T.), Op. Cit, p.782.

(131) James (Ch.), An Universal Military in English and French, London, 1816, p.1; Farrow (E. S.), A Dictionary of Military Terms, New York, 1918, p.1; Nolan (C. J.), Op. Cit, p.1.

(132) James (Ch.), A New and Enlarged Military Dictionary, in French and

English, Vol.2, London, 1810, p.398; Nolan (C. J.), Op. Cit, p.795; استمدت هذه الآلة إسمها "خنزيرة" من طريقة عملها، فهى تقطع في التربة كما يحفر الخنزير بمقدمة وجهه، كما أن منظر الجنود والنقابين بداخلها أشبه بصغار الخنازير أثناء الرضاعة من أمها. أنظر: Duane (W.), A Military Dictionary, or Explanation of the Several Systems of Discipline of Different Kinds of Troops, Infantry, Artillery, and Cavalry, Philadelphia, 1810, p.649.

(133) Anna Comnena, The Alexiad, 11, p.335; مجهول: أعمال الفرنجة، ص٣٥؛ فوشيه: تاريخ الحملة، ص ص٤٦، ٤٧.

(134) Albert of Aachen, Historia, II: 35, 36, pp.120-5.

(135) France (J.), Western Warfare in the Age of the Crusades, p.116. وقد أشار وليم الصوري إلى سهولة النقب في التربة الجيرية أثناء حصار بلك بن بهرام لقلعة خرتبرت عام ١١٢٣م/٥١٦هـ، حيث ذكر أن هذه القلعة مشيدة فوق تل ذي طبيعة جيرية قديمة سهلة النقب. أنظر وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص٣٦٧؛ Kennedy, (H.), Op. Cit, p.104.

(١٣٦) ابن شداد: النوادر، ص ص٣٣٠، ٣٣١؛ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ٢، ص٢٣٠؛ مجهول: ذيل وليم الصوري، ص ص٢٢٨، ٢٢٩. وقد وقع حدث مماثل لذلك، وانهار النفق فوق النقابين، وذلك عام ١١٤٤م/٥٣٨هـ. ففي هذه السنة حاصر الملك الإنجليزي ستيفن Stephen (١١٣٥-١١٥٤م/٥٢٩-٥٤٩هـ) مدينة لنكولن Lincoln الإنجليزية. فقام المدافعون عن المدينة بعمل هجوم مضاد لقوات الملك الإنجليزي، فاضطرب جنوده وهرولوا، في حين كان النقابون التابعون للملك منهمكين في عملهم تحت الأرض، ولم يشعروا بما وقع من أحداث، فقامت الحامية بخسف النفق فوق النقابين، فماتوا أحياءً، وكان عددهم نحو ثمانين نقاباً. أنظر: William of Newburgh, The History of William of Newburgh, in the Church Historians of England, Vol.IV, Part.II, Ch.VI, pp.410-412; Hulme (R.), Op. Cit, p.219.

(137) Dougherty (M. J.), Op. Cit, p.197.

(١٣٨) جاولي جاولي أتابك الموصل (١١٠٦-١١٠٨م/٥٠٠-٥٠٢هـ). تحالف مع الصليبيين لتحقيق مكاسب شخصية. فقد تحالف مع بلدوين البورجي Baldwin of Bourg حاكم الرها بعد إطلاق سراحه، حيث وقع أسيراً أثناء معركة حران عام ١١٠٤م/٤٩٧هـ. كما أنه استغل الخلافات التي وقعت بين الصليبيين لمصلحته الشخصية أيضاً، ولكنه لم يحرز مكاسب حقيقية لصالح المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين. أنظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق،

ص١٥٨؛ ابن الأثير: الباهر، ص١٦؛ عماد الدين خليل: المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي: عصر ولاة السلاجقة في الموصل (٤٨٩-٥٢١هـ/١٠٩٥-١١٢٧م)، الموصل ٢٠٠٥م، ص ص٤٤-٧، ١٠٩؛ محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٦١.

(١٣٩) بالس بلدة بالشام بين حلب والرقة. تبعد عن نهر الفرات نحو أربعة أميال. وقد تعرضت للحصار عام ١١٠٩م/٥٠٢هـ على يد جاولي سقاو حاكم الموصل. وكانت تابعة حينئذ لرضوان حاكم حلب. وفي عام ١١٢٢م/٥١٦هـ سقطت في يد الصليبيين. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ١، ص٣٢٨؛ ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق سعيد عاشور، جـ٦، القاهرة ١٩٧٢م، ص٤٩٠؛ ابن سباهي زاده: أوضح المسالك، ص١٩٢.

(١٤٠) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٢٨؛ عماد الدين خليل: المقاومة الإسلامية، ص١٠٩.

(١٤١) أبو شامة: الروضتين، جـ٣، ص١٩١؛ الفتح البنداري: سنا البرق الشامي، ص٢٩٤؛ ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٢، ص١٨٨؛ ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، ص٢١٠.

(142) Oman (Ch.), The Art of War in the Middle Ages, p.57.

(143) Oman (Ch.), A History of the Art of War, p.54; سميل: المرجع السابق، ص٣١٥.

(144) The Anonymous Byzantine Treatise on Strategy, p.29; Oman (Ch.), A History of the Art of War, p.134; Stokstad (M.), Op. Cit, p.30.

(١٤٥) قلعة الكرك أو حصن الكرك: الكرك بلد مشهور في البلقاء. له حصن مرتفع. وهو أحد المعاقل المنيعة في الشام. ويقع بالتحديد على أطراف الشام من ناحية الحجاز. وبينه وبين الشوبك نحو ٣ مراحل. ولعب حصن الكرك دوراً كبيراً في الحروب الصليبية. وبنى هذا الحصن الملك بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨م/٤٩٣-٥١٢هـ) في فترة توطيده لأركان مملكة بيت المقدس في بداية عهدها. وقد اهتم الأيوبيون بهذا الحصن بعد أن فتح صلاح الدين له. واستمر المماليك في الاهتمام بهذا الحصن. ولا زالت آثار قلاع الكرك باقية، عبر التاريخ، إلى يومنا هذا كمزارات سياحية في الأردن. أنظر: ابن سباهي زاده: أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق المهدي عيد الرواضية، بيروت ٢٠٠٦م، ص٥٤٧؛ Doughtey (Ch.), Travels in Arabia Deserta, Cambridge University Press, 1921, p.65; Murray (A. V.), The Crusades: An Encyclopedia, p.707.

(١٤٦) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٢٤٧؛ Kennedy, (H.), Op. Cit, pp.146-156; سميل: المرجع السابق، ص ص٣١٨-٣٢٠، ٣٥١؛ فولفغانغ: المرجع السابق، ص٥٥؛ مرفت عثمان: المرجع السابق، ص١٦٥. وهناك قلاع صليبية أخرى مشيدة فوق صخرة جبلية أو هضبة منحدرة على غرار قلعة الكرك. من هذه القلاع قلعة شقيف أرنون في جنوب لبنان،

وقلعة كوكب الهوى جنوبي بحيرة طبرية. عن ذلك أنظر: سميل: المرجع السابق، ص ص٢٩٧-٣٦٤؛ فولفغانغ: المرجع السابق، ص ص٤٧-١٣٠؛ مرفت عثمان: المرجع السابق، ص ص١٣٧-٢٢٠.

(147) Gravett (Ch.), Op. Cit, p.46.

(١٤٨) عبد الرحمن زكي: القلاع في الحروب الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، م(١٥)، القاهرة ١٩٦٩م، ص٥١؛ سميل: المرجع السابق، ص٣٢٠؛ مرفت عثمان: المرجع السابق، ص٩٢.

(149) The Anonymous Byzantine Treatise, p.40; France (J.), Western Warfare in the Age of the Crusades, p.117; سميل: المرجع السابق، ص٣٤٣؛ محمود أحمد درويش: التراث المعماري الفاطمي والأيوبي في مصر، القاهرة ٢٠١٩م، ص٢٦٥.

(150) The Anonymous Byzantine Treatise, p.40.

(١٥١) قلعة صهيون وتسمى أيضاً بقلعة صلاح الدين. وهى قلعة حصينة منيعة في طرف جبل، وتحيط بها الأودية العميقة من معظم جهاتها، ولها خندق واحد. كما يحيط بها ثلاثة أسوار، بالإضافة إلى سور القلعة نفسها. ويعد حصن صهيون وقلعته من أعمال حمص، وهو يقرب من ساحل البحر المتوسط. وقلعة صهيون تتميز بوفرة المياه بسبب غزارة الأمطار التي تسقط عليها. وهى مشيدة فوق صخر صلب. أنظر: أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٢٥٧؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٣، ص٤٣٦؛ Kennedy, (H.), Op. Cit, pp.89-120; فولفغانغ: المرجع السابق، ص٥٠.

(١٥٢) سميل: المرجع السابق، ص٣٤٣؛ محمود أحمد درويش: المرجع السابق، ص٢٦٥.

(153) Roger of Wendover, The Flowers of History, Vol.II. pp.82,83; مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ٢، ص١٨٠؛ ابن شداد: النوادر، ص٣١٣؛ أبو شامة: الروضتين، جـ٤، ص١٧٦.

(154) The Anonymous Byzantine Treatise, p.35; Gravett (Ch.), Op. Cit, p.45; محمد الجهيني: العمارة الحربية في شرق العالم الإسلامي، عبر العصور، القاهرة ٢٠٠٧م، ص٣٨.

(١٥٥) قلعة جبيل بناها الصليبيون في القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري في لبنان بالقرب من شاطئ البحر المتوسط. واعتمدوا في بنائها على أحجار قلعة فارسية قديمة. وفي عام ١١٨٨م/٥٨٤هـ سيطر عليها صلاح الدين. وفي عام ١١٩٠م٥٨٦هـ أزيلت جدرانها جزئياً. وقد أعاد الصليبيون بناء سور قلعة جبيل عام ١١٩٧م/٥٩٣هـ. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٢، ص١٠٩؛ فولفغانغ: المرجع السابق، ص٨٢. وللمزيد عن قلعة جبيل

أنظر : Thiollet (J. P.), Je m'appelle Byblos, Paris, 2005.

(156) Kennedy, (H.), Op. Cit, p.68.

(157) Ibid, p.187.

(158) France (J.), Western Warfare in the Age of the Crusades, p.117.

(١٥٩) أنظر الشكل رقم (٤). التعديل والترجمة في الرسم من إجتهاد الباحث بالإعتماد على المراجع الآتية: Gravett (Ch.), Op. Cit, p.45; Dougherty (M. J.), Op. Cit, p.197.

(160) Oman (Ch.), A History of the Art of War, p.549; Stokstad (M.), Op. Cit, p.30; Dougherty (M. J.), Op. Cit, p.197. وللمزيد عن النقب المضاد أنظر : Hebron (M.), The Medieval Siege. Theme and Image in Middle English Romance, Clarendon Press, 1997; Reid (P.), Medieval Warfare : Triumph and Domination in the Wars of the Middle Ages, Carrol and Graf Publishers, 2007.

(161) The Anonymous Byzantine Treatise, p.39.

(162) Gravett (Ch.), Op. Cit, p.46.

(163) Kennedy, (H.), Op. Cit, p.105.

(164) The Anonymous Byzantine Treatise, p.39; Gravett (Ch.), Op. Cit, p.45; Nolan (C. J.), Op. Cit, p.599.

(165) The Anonymous Byzantine Treatise, p.39; Gravett (Ch.), Op. Cit, p.46.

(166) The Anonymous Byzantine Treatise, p.39.

(١٦٧) ابن أرنبغا الزردكاش: الأنيق في المناجيق، ص ص٩٧، ٩٨.

(168) Gravett (Ch.), Op. Cit, p.46. عندما وصل الفرنسيون بقيادة الملك فيليب أغسطس Philip Augustus (١١٨٠-١٢٢٣م/٥٧٦-٦٢٠هـ) إستعادة قلعة جيلارد Chateau Gaillard من الإنجليز عام ١٢٠٤م/٦٠٠هـ، شرعوا في عمل نقب تحت الأرض لتقويض جدران القلعة، فقام الإنجليز داخل القلعة بعمل نقب مضاد. فقام الفرنسيون من جانبهم بإستعمال آلات رمي الحجارة بقوة على السور والبوابة. وكان لهذا النفق المضاد ولضربات الحجارة المتكررة تأثيراً خطيراً على الجدار الذي ضعف وانهارفي النهاية، وسقطت القلعة في يد الفرنسيين. وهذا مثال للتأثير السلبي للنفق المضاد على الجدران. عن ذلك أنظر : Roger of Wendover, The Flowers of History, Vol.II, pp.99, 100; Stokstad (M.), Op. Cit, p.36.

(169) The Anonymous Byzantine Treatise, p.39; Gravett (Ch.), Op. Cit, p.46.

(١٧٠) عن حصار النورمان لدورازو أنظر هامش رقم (١١٣) من هذه الدراسة. وللمزيد عن تفاصيل

معارك النورمان مع البيزنطيين أنظر: Theotokis (G.), The campaigns of the Norman dukes of southern Italy against Byzantium, in the years between 1071 and 1108 AD, PhD Thesis - University of Glasgow (2010); Hill (P.), The Norman Commanders: Masters of Warfare 911-1135, Yorkshire, 2015.

(171) Ambroise, The Crusade of Richard Lion-Heart, Cambridge University Press, 1976, pp.62-67; مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ٢، ص٢٧؛ France (J.), Western Warfare in the Age of the Crusades, pp.116, 121.

(172) The Anonymous Byzantine Treatise, p. 40; Hulme (R.), Op. Cit, p.219.

(173) Anonymous, The Deeds of the Franks and other Jerusalem-Bound Pilgrims, p.37; Guibert of Nogent, The Deeds of God Through the Franks, p.62; Hulme (R.), Op. Cit, p.219.

(١٧٤) ابن شداد: النوادر، ص٣٣١؛ ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٢، ص٣٩٤؛ مجهول: ذيل وليم الصوري، ص ص٢٢٨-٢٣٠.

(175) Lepage (J.G.G.), Op. Cit, p.102.

(176) France (J.), Western Warfare in the Age of the Crusades, p.116; Stokstad (M.), Op. Cit, p.30; Hulme (R.), Op. Cit, p.220.

(177) Kennedy, (H.), Op. Cit, p.106. في آواخر العصور الوسطى بدأت ترتفع أصوات منددة بعمليات نقب الأسوار، واعتبارها لا تتفق مع أخلاقيات الحرب والفروسية. وقد ظهرت في بعض مسرحيات شكسبير، وبالتحديد في مسرحية "هنري الخامس" نداءات تنظر إلى نقب الأسوار على أنه ليس من أدب وأخلاقيات الحرب. أنظر: Stokstad (M.), Op. Cit, p.87.

(١٧٨) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧٩.